البابا شنودة الثالث

تأملات في الميلاد

الكتاب : تأملات في الميلاد .
المؤلف : قداسة البابا شنودة الثالث .
الطبعة : الخامسة نوفمبر ١٩٨٧ .
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) العباسية .
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف .

فهرست

	صفحة
تصدير الكتاب	٦
أخلي ذاته	٧
ملء الزمان	٢٩
عمانوئيل ... الله معنا	٣٥
مصالحة السماء والأرض	٤١
لماذا حل الرب بيننا ؟	٥٣
لسقوط وقيام كثيرين	٦٧
جاء يطلب ويخلص ما قد هلك	٧٣

بسم الآب والإبن والروح القدس ، الإله اواحد آمين

تصدير

نقدم لك في هذا الكتاب سبع محاضرات القيت عن الميلاد : الخمس الأولي منها القيت في القاعة المرقسية بدير الأنبا رويس بالقاهرة خلال سنتي ١٩٦٦ / ١٩٦٧ . والمحاضرتين الأخريين القيتا في الكاتدرائية الكبري في سنة ١٩٧٦ ، سنة ١٩٨٠ .
وفي كتاب [وحي الميلاد] قدمنا لك سبع محاضرات أخري .

وبهذا نكمل لك ١٤ محاضرة روحية عن الميلاد .

ولا تزال أمامنا محاضرات غير هذه لم يسبق نشرها . وكذلك (أسئلة في الميلاد) وهي كثيرة ليت الرب يعطينا فرصة لنشر كل هذا ، وإن امكن لاباس من تجميعه في مجلد يشمل كل محاضراتنا عن الميلاد وإجابة كل الاسئلة المتعلقة به . ولكن المهم في كل ذلك هو .

فاعلية الإيمان في حياتنا الخاصة ، كأفراد وكجماعة ...

وغالباً ما تدور هذه النقطة الهامة في جميع محاضراتنا عن الميلاد ، كما نحرص أن نفعل ذلك في كل الحاضرات بوجه عام .
لأن الدروس الروحية وحدها ، بدون فاعليتها في الحياة ، تكون بدون جدوي ، ومجرد ثقل على الضمير .
فاحرص أيها الإبن المبارك في كل قراءاتك الروحية أن تحول الكلمة إلى حياة ، لكي تنمو كل حين في معرفة ربنا يسوع المسيح وفي محبته ، كما تكون لك شركة روحية مع كل إخوتك الذين يسلكون نفس الطريق ... وليكن الرب معك ...

يعطيك القوة في طريقك إليه . ويعطيك الاستجابة في طريقه إإليك .

البابا شنودة الثالث

أخلي ذاته

" فليكن فيكم هذا الفكر الذي
في المسيح يسوع أيضاً ، الذي إذ
كان في صورة الله لم يحسب خلسة
أن يكون معادلاً لله .
لكنه أخلي ذاته آخذاً صورة
عبد ، صائراً في شبة الناس . وإذ
وجد في الهيئة كإنسان وضع
نفسه وأطاع حتى الموت ، موت
الصليب " .
(فى٢ : ٥ ــ ٨) .

مقدمة

إن السيد الرب ، إذ أخلي ذاته وأخذ شكل العبد لم يقتصر ذلك على حادثة الميلاد فحسب ، بل شمل ذلك حياته كلها التي لا تدخل تحت حصر .
ميلاد السيد المسيح المتواضع كان مجرد مظهر من مظاهر إخلاء الذات وسنحاول أن نتبع إخلاء الرب لذاته في كل ناحية ... ونحاول أن ندرك الأسباب التي من أجلها أخلي ذاته ... ثم نأخذ لأنفسنا عظة عملية ، محاولين أن نطبق عنصر الإخلاء في حياتنا ...
وعلينا أن نفهم بالدقة : ما هو معني إخلاء الذات ...
إنه لم يخلها طبعاً من جوهرة ولا من طبيعته ولا من لاهوته الذي لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين . بل أخلي ذاته من الأمجاد المحيطة به ومن عظمة السماء . وسنشر هذا وغيره بالتفصيل في الصفحات المقبلة ...
جميل بنا أن نلاحظ أن هذا الإخلاء لم يكن إقلالاً من شأن الرب ، وإنما هو عظمة جديدة في مفهومها . كان الناس يفهمون العظة في مظاهر خارجية . أما عظمة من يخلي ذاته ويأخذ شكل العبد ، فلم يكن أحد يتصورها . هذه قدمها الرب لنا ...

أخلى ذاته في ميلاده

عجيب هو الرب في إتضاعه ، عندما أخلي ذاته في ميلاده .

- **نزل إلى العالم هادئا بدون ضجة ، ودخله في خفاء لم يشعر به أحد ... لم يحدد من قبل موعد مجيئه .**
- وهكذا ولد في يوم مجهول ، لم تستعد له الأرض ولا السماء ، ولم يستقبله فيه أحد . يوم ميلاده كان نكره بالنسبة إلى العالم ، مع أنه من أعظم الأيام إذ بدأ فيه عمل الخلاص الذي تم على الصليب .

ولو نزل الرب إلى العالم في صفوف ملائكته ، على سحابة عظيمة ، أو في مركبة نورانية يحيط به الشاروبيم والسارافيم ... وقد إرتجت له السموات وكل قوي الطبيعة ... أو لو أن السماء إحتفلت بميلاده ، وليس بنجم بسيط يظهر للمجوس ، بل إهتزت له كل نجوم السماء وكواكبها ... لو حدث ذلك ، لقلنا إنه أمر يليق بالرب ومجده ... !
لو أن شخصاً كان مسافراً إلى مكان ، لأرسل الرسائل قبلها ، فيستقبله الأحباء والأصدقاء والأقارب والمعارف والمريدون ، وربما يستاء إذا قصر أحد في إنتظاره أو في إستقباله ....
أما السيد المسيح فدخل إلى العالم في صمت ، بعيداً عن كل مظاهر الترحيب ، في ضجيج ، وبطريقة بسيطة هادئة ... دخل بنكران عجيب للذات ، أو في إخلاء عجيب للذات وكل الذين إستقبلوه جماعة من الرعاة المساكين ، ثم المجوس ...

- هناك أشخاص يحبون الضجيج وبهرجة الترحيب في دخولها وفي خروجهم ، لأن فاعلية ميلاد السيد المسيح لم تغيرهم بعد ...

لم يخل السيد المسيح ذاته في هدوء مجيئه إلى العالم فحسب ، بل في كل ظروف ميلاده . فكيف كان ذلك ؟

- ولد من أم فقيرة يتيمة ، لم تكن تجد من يعولها . عهد بها الكهنة إلى يوسف ، خطبوها له لتعيش في كفنه .

وولد في قرية هي : " الصغري بين رؤساء يهوذا " (مت٢ : ٦) .
وسكن في الناصرة التي يعجب الناس إن أمكن أن يخرج منها شئ صالح (يو١ : ٤٦) . ودعي ناصرياً .
وعاش في بيت نجار بسيط ، حتى كانوا يعيرونه قائلين : " أليس هذا هو إبن النجار " (مت١٣ : ٥) .
وعاش ثلاثين سنة مجهولاً ، كفترة تبدو ضائعة في التاريخ . حتى الرسل لم يعتنوا أن يكتبوا عنها شيئاً تقريباً ... عاش فيها دون أن يلتفت إليه أحد ، مخفياً لا يعرف عنه أحد شيئاً ، كأي شخص عادي ... بينما تلك السنوات الثلاثون هي فترة الشباب والقوة التي يهتم فيها كل إنسان بذاته ، ويود فيها كل شاب أن يظهر وأن يعمل عملاً ...

- أخلي الرب ذاته فعاش في التطورات الطبيعية كسائر البشر .

قضي فترة كرضيع وكطفل . ولم يستح من ضعف الطفولة ... بما فيها من إحتياج إلى معونة آخرين ، وهو معين الكل !
إحتياج إلى رعاية أم ، وهو راعي الرعاة ! إحتياج إلى إمراة من صنع يديه ، تحمله على يديها ، وتهتم به ، وهو المهتم بكل أحد . وتغذيه ، وتعطيه ليأكل ويشرب !
ومن العجيب في طفولته ، أنه أخلي ذاته من استخدام قوته . فهرب من امام هيرودس ، بينما روح هيردوس في يده ! هرب من هيرودس وهو الذي خلق هيرودس ، وأبقاه حتى ذلك اليوم . عجيب هذا الأمر ..عجيب أن نري القوي القادر على كل شئ يهرب مثل سائر الذين يهربون من الضيق ! يهرب من القتل وهو الذي يملك الحياة والموت ... وجاء إلى مصر وعاش فيها سنوات . ولم يرجع إلا بعد أن هذا الجو ، بينما كان يستطيع أن يفلت من الرجل بطريقة معجزية أو يقضي عليه ...
أخلي ذاته ، فاحتمل ضعف البشرية وهو المنزه عن كل ضعف . وسمح لنفسه أن يجوع ويعطش ويتعب وينام ، كسائر البشر ...
عجيب أن يقال عن الرب أنه في آخر الأربعين يوماً : " جاع أخيراً " (مت٤ : ٢) . وعجيب أن هذا الينبوع الذي روي الكل يقول للسامرية : " أعطيني لأشرب " (يو٤ : ٧) ، ويقول على الصليب : " أنا عطشان " (يو١٩ : ٢٨) . وعجب أن يقال عنه إنه تعب وجلس عند البشر (يو٤ : ٦) وإنه نام في السفينة (لو٨ : ٢٣) .

- أخلى الرب ذاته كل هذا الإخلاء ، ليخزي الذين يفتخرون ويتكبرون . وكأنه يقول لكل هؤلاء : إنني لم أولد في قصر ملك ، ولا على سرير من حرير ، وإنما في مزود للبهائم . ولكني سأجعل هذا المزود أعظم من عروش الأباطرة والملوك ... سياتيه الناس من مشارق الشمس إلى مغاربها ليتباركوا منه .

ليس المكان هو الذي يمجد الإنسان ، ولكن الإنسان هو الذي يمجد المكان . والعظمة الحقيقية إنما تنبع من الداخل .
فليحل الرب في أي مكان ، ولو كان مكاناً للبهائم ، وليولد في أية قرية ولو كانت هي الصغري في يهوذا . ولكنه سيرفع من شأن كل هذا ... يولد في هذه الحقارة إلى مجد . يولد من فتاة فقيرة ، ويجعلها أعظم نساء العالم ... ويولد في بيت رجل نجار بسيط ، فيحوله إلى رجل قديس مشهور في الكنيسة ...

أخلي ذاته من مظاهر العظمة

أخلي ذاته من صفة الملك :

كان يمكن لمعلمنا الصالح أن يأتي كملك . ولو أتي كذلك ، ما كان أحد ينكر عليه أنه ملك . فهو من سبط يهوذا صاحب المملكة ، ومن نسل داود الملك .
ولكنه أخلى ذاته من الملك ، وهو ملك الملوك (رؤ١٧ : ١٤) ...
لم يأت في هيئة ملك . لأن اليهود في في تفاخرون بالعظمة البشرية ، كانوا ينتظرون أن يأتي المسيا كملك عظيم ، لأنهم كانوا يظنون أن عظمة أن عظمة الملوك هي التي تخلصهم وكان قصد الرب أن يحطم هذه الفكرة أياً . فلم يخلصهم بعظمة الملوك ، بل بتواضع النجار الناصري ، الذي إستهانوا به قائلين : " أليس هذا هو النجار إبن مريم ؟! " (مر٦ : ٣) . أتي كنجار بسيط ، ولم يأت كملك . ولما سعي إليه الملك ، رفضه وهرب منه . ولما " رأي أنهم مهتمون أن يأتوا ليختطفوه ويجعلوه ملكاً ، إنصرف إلى الجبل وحده " (يو٦ : ١٥) .
ورضي أن يحاكم أمام عبيده ، أمام بيلاطس وهيرودس ، وأمام أعضاء مجلس السنهدريم ... وكان يقول : " مملكتي ليست من هذا العالم " (يو١٨ : ٣٦) .
أخلي ذاته من صولجان الملك ومن الكرامة المقدمة للملوك ، مفضلاً أن يحاط بمحبة القلوب الطائعة لقلبه ، وليست الخائفة من سطوه سلطانه ...

أخلي ذاته من كرامة الرئاسة :

لم يطلب أن يكون رئيساً لتابعيه ، أو سيداً ... وإنما صديقاً لهم . وهكذا قال لتلاميذه : " لا أعود أسميكم عبيداً ... لكني سميتكم أحباء " (يو١٥ : ١٥) . وخاطبهم في إحدى المرات قائلاً : " أقول لم يا أصدقائي ... " (لو١٢ : ٤) .
وأخلي ذاته لدرجة أنه إنحني وغسل أرجلهم ...
لم يعامل الناس كعبيد من صنع يديه ... بل كانت تربطه بهم رابطة الحب لا رابطه الرئاسة .
إن البشر هم الذين يستهويهم حب الرئاسة والسلطان ... أما معلمنا المتواضع فكان يريد قلوب الناس لا خضوعهم ، وكان يريد محبتهم لا تذللهم ولم يقم نفسه رئيساً للناس بل صديقاً .
لذلك كان محبوباً لا مخافة . يهابه الناس عن توقير ، لا عن رعب . لم يرد أن تكون له الرهبة التي ترعب الناس ، بل الحب الذي يجذب الناس . وهكذا أمكن للأطفال أن تلتف حوله ، وأمكن ليوحنا أن يتكئ على صدره .
إن كل من يحب العظمة ، لم يتمتع بفاعلية الإيمان بعد .
قال الأنبا أنطونيوس مرة لأولاده : [يا أولادى ، أنا لا أخاف الله] . فأجابوه : [هذا الكلام صعب يا أبانا] . فقال لهم : [ذلك لأني أحبه . والمحبة تطرح الخوف إلى خارج] (١يو٤ : ١٨) .
إن أهل العالم يحبون السلطة والنفوذ والسيطرة . يريدون أن يخافهم الناس ، ولو عن قهر . أما المسيح إلهنا فيقول : " من يحبني يحفظ وصاياي " . يعني أن حفظ وصاياه يكون عن حب وليس عن خوف ...

حتى في صنع المعجزات :

أخلي الرب ذاته فلم يستخدم قوته على صنع المعجزات إلا في الضرورة القصوى .

لم يستخدم قوته من أجل ذته ، ولا من أجل منفعة خاصة لم يستخدم لاهوته ليمنع عن نفسه الجوع أو العطش أو التعب أو الألم . رفض أن يحول الحجارة إلى خبز لسد جوعه الشخصي ، بينما بارك الخمس خبزات من أجل إشفاقه على الناس .

لم يستخدم قوته ليبهر الناس بالمعجزات ، ولا من أجل الإيمان . وعندما كانوا يطلبون منه معجزة لأجل (الفرجة) لم يكن يقبل . بل كان يبكتهم قائلاً : " جيل فاسق وشرير يطلب آية ولا تعطي له ... " (مت١٢ : ٣٩) . لم يبهر الناس بالمعجزات مثلما فعل سيمون الساحر ، ومثلما فعلت عرفاه فيلبي ، ومثلما سيحدث في لأزمنة الأخيرة من المسيح الدجال والوحش والتنين ...

رفض أن يلقي نفسه من على جناح الهيكل ، لتحمله الملائكة .

ويري الناس المنظر فينذهلون ويؤمنون معجبين بعظمته ! ... رفض ذلك أخلي ذاته من إعجاب الناس . إن معلمنا الصالح لم يحط نفسه بالمجد ، لأنه أراد أن يلتف الناس حول التواضع وليس حول المجد .

ومعجزة كحادثة التجلي التي كان يمكن أن تبهر الجماهير ، لم يشأ أن يراها كل الشعب ،

ولا حتي كل تلاميذه الإثني عشر ، بل رآها ثلاثة فقط ، وأوصاهم ألا يظهروها ... كان زاهداً في كل هذه الأمور التي يبحث عنها من يريدون أن يظهروا ذواتهم ... بل أكثر من هذا أنه بعد كل معجزة تبهر البصر كان يخفي تلك المعجزة بعمل من أعمال الضعف البشري أو بكلام عن آلامه ... أو يطلب ممن حدثت معه أن يخفيها ...

وحتى من أجل الإيمان لم يشأ أن يبهر الناس بالمعجزات . أراد أن يكون إيمانهم بدافع من الحب والإقتناع وليس بسبب المعجزات . وما الدليل على هذا ؟

دليلنا أنه كان يطلب الإيمان قبل المعجزة ، وليس كنتيجة لها . وكثيراً ما كان يسال الذي يجري معه المعجزة " أتؤمن ؟ " ، أو يقول له : " ليكن لك حسب إيمانك " . وإن كان يؤمن قبلاً تحدث معه المعجزة ... ولذلك قيل عنه إنه في وطنة : " لم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم " (مت١٣ : ٥٨) . كان الإيمان يسبق المعجزة . وكانت المعجزة نتيجة للإيمان وليست سبباً .

وكثير من معجزات السيد الرب كانت أعمال رحمة وحب وكانت لها أهداف روحية ... تتبعوا عنصر الحب والحنان في معجزات الرب يظهر لكم واضحاً وجلياً ... وهكذا نري في معجزة لإقامة العازر أنه بكي قبل أن يقيمه . إن الحب الذي كان يعتصر قلبه ، ظهر أولاً في عينيه الدامعتين ، قبل أن تظهر قوته في عبارة : " هلم خارجاً " . وكثير من معجزات الشفاء كانت تسبقها عبارة : " فتحنن يسوع " أو " أشفق " أو ما شابه ذلك ...

ولم يستخدم معجزاته في الدفاع عن نفسه ، أو في الإنتقام من مضطهديه وشانميه .

أهانوه بكل أنواع الإهانة ، وأشبعوه شتماً وتعييراً . وكان يستطيع أن يجعل الأرض تفتح فاها وتبتلعهم ، أو تنزل نار من السماء وتفنيهم . ولكنه لم يفعل . كان قد أخلي ذاته من استخدام هذه القوة التي فيه .

وعاش بغير لقب وبغير وظيفة :

- عاش السيد المسيح بغير لقب ، وبغير وظيفة رسيمة في المجتمع ، وبغير اختصاصات في نظر الناس ...
- ماذا كانت وظيفة المسيح في نظر المجتمع اليهودي ، أو في نظر الدولة ؟! لا شئ .. كان أمامهم مجرد رجل يجول من مكان إلى آخر ، يعمل ويعلم ، دون أن يتسند إلى وضع رسمي ...
- لم يكن من أصحاب الرتب الكهنوتية في نظر الناس ، لأنه لم يكن من سبط لاوى ولا من أبناء هارون الناحية ، أنه عندما شفي الرجل الأبرص ، قال له : " إذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم القربان الذي أمر به موسى " (مت ٨ : ٤) . يا لها من عبارة مؤثرة للغاية !! تصوروا رئيس الكهنة الأعظم ، منشئ الكهنوت ومؤسسه ، ومنع كل سلطة كهنوتيه ، يقول للأبرص : " إذهب أر نفسك للكاهن " !! ...

وماذا عنك أنت يارب ن أنت الكاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق ؟ لماذا ترسلني إلى كاهن ، وأنت راعي الرعاة وكاهن الكهنة ؟! ما أعجبك في إخلائك لذاتك ! تتصرف كمن لا سلطة له ، وأنت مصدر كل سلطة !!

- **وعاش السيد المسيح بدون أي مركز إجتماعي ، ولم تكن له أية صفة رسمية على الإطلاق . حتى في وضعه كمعلم ...** لم يكن من طوائف الكتبة والفريسيين المؤتمنين على التعليم في ذلك الحين ، ولا من جماعة الكهنة الذين من أفواهم تطلب الشريعة (أر١٨ : ١٨) ، ولا من الشيوخ ولا من البارزين في المجتمع ...
- وعلى الرغم من كل ذلك ، ملأ الدنيا تعليماً ، وكانوا يلقبونه بالمعلم ، والمعلم الصالح ، ودعي معلماً حتى من أصحاب المكانة العلمية كالكتبة والفريسيين ...

وهكذا أرانا كيف يمكن أن يعيش الشخص بلا لقب ، ومع ذلك يعمل أكثر من أصحاب الألقاب ! ...

وفي حياته كمعلم ، عاش وقد أخلي ذاته من كل شئ .

لم يكن له مكان يعلم فيه ...

أحياناً كان يعلم وهو جالس على الجبل ، وأحياناً يكلم الناس وهو واقف في سفينة وهم جلوس على الشاطئ ... وأحياناً كان يعلم وهو في وسط الزروع والبساتين ، يتأمل مع تلاميذه زنابق الحقل وطيور السماء ... وأحياناً كان يعلم في الخلاء ، في موضع قفر ، في البرية . وأحياناً في الطريق ... وعلى العموم لم يكن له مكان خاص للتعليم ، لا مركز ثابت ... بل لم يكن له أين يسند رأسه (لو٩ : ٥٨) .

وإذ أخلي ذاته من الإرتباط بمكان معين ، عمل في كل مكان ...

عجيب أن الله الذي ملأ السموات والأرض ، لم يكن له أين يسند رأسه ...

عندما ولد يقول الكتاب : " لم يكن له موضع في البيت " (لو٢ : ٧) . وطول فترة تجسده على الأرض لم يكن له مسكن معين . يذهب أحياناً إلى بيت سمعان ، وأحياناً إلى بستان جثماني ... ما أعجب قول الكتاب : " ومضي كل واحد إلى بيته ، أما يسوع فمضي إلى جبل الزيتون " (يو٨ : ١) ...

والذين كانوا يتبعونه ، كانوا يسيرون وراء المجهول ... لا يعرفون لهم موضعاً ولا مركزاً ، ولا مالية معينة ، ولا عملاً محدوداً . عندما قال السيد لمتي اللاوى : " إتبعني " ، تبعه متى ... ولو سألته : " إلى أين ؟ " لما عرف كيف يجيب ... ولو سألته ماذا ستعمل ؟ لوقف أمام علامة إستفهام لا جواب لها . لقد أراد الرب لتلاميذه أن يخلوا ذواتهم أيضاً ... هم مجرد تلاميذ ، لا يعرفون لهم عملاً سوي أن يتبعوا المسيح ، الذي لا يعرفون له وظيفة ولا عملاً رسمياً ولا مكاناً ثابتاً ...

يحيط به جماعة من المساكين :

وكما أخلي المسيح ذاته ، أحبه الذين أخلوا ذواتهم ، أو الذين لا ذوات لهم . فأحاطت به مجموعة من الفقرا والمساكين والمزدري وغير الموجود ... جماعة من جهال العالم وضعفاء العالم وأدنياء العالم (١كو١ : ٢٧ ، ٢٨) . وهكذا إختار تلاميذه : جماعة من الصيادين الجهلة ، كما إختار تلاميذه : جماعة من الصيادين الجهلة ، كما إختار واحداً من العشارين المرذولين . والذين أحاطوا به كانوا من عامة الشعب : الأطفال الذين لا يعتد بهم أحد والخطاة والعشارون الذين يحتقرهم الناس ، والنساء أيضاً اللائى لم تكن لهن مكانه في المتجمع اليهودي ... وهكذا كانت نسوة كثيرات يتبعنه (لو٢٣ : ٢٧) ... وحول صليبه وقفت النسوة لا شيوخ الشعب ... وبكت عليه بنات أورشليم (لو٢٢ : ٢٨) ولم يبك عليه أعضاء مجلس السنهدريم !

عاش إنساناً بسيطاً بلا مركز وبلا لقب ، يحيط به أشخاص مجهولان بلا مركز وبلا لقب أيضاً وحتى لقبه الطبيعي " إبن الله " ، لم يستخدمه كثيراً . وكان يستبدله في غالب الأحيان بلقب " إبن الإنسان " ! ...

عاش وسط الشعب ، لا وسط الرؤساء .؟ وكان قريباً من الصغار ، بعيداً عن الكبار والمعتبرين ، يحبه الشعب ويضطهده الرؤساء ... وحسناً تنبأ عنه داود قائلاً : " الأغراء قاموا على " (مز٥٤ : ٣) " الرؤساء إضطهدوني بلا سبب " (مز١١٩ : ١٦١) .

حتى الذين استضافوه كانوا من البسطاء أو من المحتقرين فدخل بيت متي ، ولم يدخل بيت بيلاطس ولا بيت هيرودس ودخل بيت زكا ، ولم يدخل بيت حنان ولا بيت قيافا ...

عاش فقيراً ...

أخلي ذاته من المال والجاه ، فعاش فقيراً لا يملك شيئاً وهو مغني الكل . حتى أنهم لما طلبوا منه الجزية لم يجد ما يعطيه لهم ، فطلب من بطرس أن يلقي الشبكة ويصطاد ويدفع لهم (مت١٥ : ٢٧) .

وعاش مرفوضاً .

إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله (يو١ : ١١) كنور أشرق في الظلمة ، والظلمة لم تدركه (يو١ : ٥) ، بل أحب الناس الظلمة أكثر من النور ... (يو٣ : ١٩) .

وأصبح الإتصال به تهمة ، والتلمذه له عاراً ...

حتى أن نيقوديموس عندما أراد مقابلته ، قابله في الخفاء ، سراً وليلاً (يو٣ : ٢) وحتى أن اليهود في إهانتهم للمولود أعمي إذ آمن بالمسيح بعد شفائه ، شتموه قائلين له أنت تلميذ ذاك (يو٩ : ٢٨) وهكذا أصبحت التلمذة لذلك الناصري من أنواع السب ووصمة عار . وجاء الوقت الذي أصبح فيه تلاميذه مغلقين على أنفسهم في العلية لا يستطيعون الخروج منها ، خوفاً من مسيه انتسابهم لذاك الناصري ... وهكذا وجدنا عملاقاً عظيماً كبطرس تبرأ من المسيح ومن الأنساب إليه ، وأخذ لعن ويحلف قائلاً إنه لا يعرف الرجل (مز١٤ : ٧١) .

وعاش مضطهداً في حياته .

إن السيد الرب لم يخل ذاته فقط من المجد اللائق أن يحيط بلاهوته ، بل أخلي ذاته حتى من مجد البشرية أيضاً ، فكان محتقراً ومخذولاً من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن ... محتقراً فلم يعتد به (إش٥٣ : ٢ ، ٣) .

امسكوه مرة حجارة ليرجموه (يو١٠ : ٣١) . ومرة أخري : " أخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل حتى يطرحوه إلى أسفل (لو٤ : ٢٩) ... وطاردوه في كا مكان ، محاولين أن يصطادوه بكلمة ... ولم تكن له كرامه في وطنه .

وتقبل كل هذه الإهانات الكثيرة وهو الذي لم يفارق لاهوته ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين ...

قالوا له إنك سامري وبك شيطان ! وقالوا عنه إنه أكول وشريب خمر ، ومجدف ، وضال ، وما . قالوا إنه ناقض للشريعة وكاسر للسبت ، وإنه ببعلزبول يخرج الشياطين . فبماذا الأشرار . بذلت ظهرك للسياط وخذيك أهملت للطم " ...

كيف أن هذا الذي تجثوا أمامه كل ركبه مما في السماء وما على الأرض ، الذي ليست السموات طاهرة قدامه ، كيف أنه : " لم يرد وجهه عن خزي البصاق " ؟! الجواب الوحيد أنه أخلي ذاته

وهكذا ضربوه ولطموه ... ما أعجبه في إخلائه لذاته ! يصل الأمر بخالق السماء والأرض أن يسمح لإنسان من تراب أن يصفه على وجهه ، ويقبل على وجهه ، ويقبل ذلك ويسكت ! ... " ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه . كشاه تساق إلى الذبح وكنعجة صامته أمام جازيها ، فلم يفتح فاه " (إش٥٣ : ٧) .

ووصلت الإستهانة بإله الكل الذي أخلي ذاته ، إلى أنهم فضلوا عليه رجلاً قاتلاً ولصاً هو باراباس ، طالبين أن يصلب المسيح . بل وصلت الاستهانة بإله الكل الذي أخلي ذاته ، إلى أنهم فضلوا عليه رجلاً قاتلاً ولصاً هو باراباس ، طالبين أن يصلب المسيح . بل وصلت الاستهانه بإله الكل إلى أن أصبح ثمنه ثلاثين من الفضة ، ثمن عبد !!

إنه لم يأخذ فقط شكل العبد ، وإنما بيع أيضاً بثمن عبد .. إستغل الناس إخلاءه لذاته ... فلم يمتنع عن إخلاء ذاته ، من أجل الناس .

وكما عاش مضطهدا في حياته ، عاش مضطهداً بعد مماته أيضاً . فحتى قبره كانت تحرسه الجنود المدججة بالسلاح ، خائفين أن (ذلك المضل !!) يقوم "فتكون الضلالة الأخيره أشر من الأولي " (مت٢٧ : ٦٣ ، ٦٤) . وهكذا ختموا القبر بالأختام ، وضبطوه بالحراس ...

وهكذا لاحقوا بالشتائم بعد موته . وادعوا أن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه . ودفعوا في سبيل ذلك ما دفعوه من رشوة ...

جرأة الشيطان عليه .

عبارة " أخلي ذاته " لم تنطبق عليه في فترة ميلاده فحسب ، بل صاحبه طوال حياته على الأرض في الجسد ...

ومن أجل أنه أخلي ذاته ، تجرأ الشيطان ليجربه .

ووصل الرب في إخلائه لذاته ، إلى حد أنه ترك الحرية للشيطان ، يختار الزمان والمكان ونوع التجربة ... ما أشد على النفس قول الكتاب : " ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة ، وأوقفه على جناح الهيكل " وأيضاً " ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جداً " (مت٤ : ٥ ، ٨) .

إبليس " يأخذ " " ويوقفه " حيثما يشاء !! يا للهول ! ...

ما أشد هذا الإخلاء للذات ... من يحتمله ؟!

وإذا بهذا الإله الكامل في معرفته المخبأة فيه كل كنوز العلم والمعرفة ، يقول عنه الكتاب أن الشيطان : " أراه " جميع ممالك الأرض ومجدها !! ... " أراه " ؟! وهو الذي يري الخفيات والمكنونات ، ويعلم حتى أعماق الفكر وبواطن القلوب ...

وهذه الممالك ، التي كلها من صنعه ، وكلها له ، والتي بيده بقاؤها وإنحلالها ، يقول له الشيطان : " لك أعطي هذه جميعها " ... وتصل الجرأة بالشيطان أن يقول له : ط إن خررت وسجدت لي " !! هل إلى هذه الدرجة تصل الجرأة ؟!
ما أعجبك يارب ! من يقدر على مثل هذا الإخلاء ؟!

وأخيراً

يعوزنا الوقت إن تحدثنا عن كل نواحي إخلاء الرب لذاته ... الأمثلة عديدة ، لا تحصي ... وإخلاء الرب لذاته له جذور ممتدة في العهد القديم ، أتركها حالياً لتأملاتك الخاصة ....

أخلي ذاته ورفع شأن أولاده

العجيب أن المسيح إلهنا بقدر ما كان يخلي ذاته ، كان من الناحية الأخري يفع شأن أولاده ... أخذ شكل العبد ، وأعطانا أن نصير شركاء الطبيعة الإلهية ! (٢بط١ : ٤) . حقاً كما تقول تسابيح الكنيسة " أخذ الذي لنا ، وأعطانا الذي له " . وهكذا صارت لنا شركة معه (١يو١ : ٦) . وصرنا " شركاء الروح القدس " (عب٦ : ٤) ، (٢كو١٣ : ١٤) ، وشركاء في الميراث (أف٣ : ٦) ... وصرنا جسده ، وأعضاءه ، ثابتين فيه ، كالأغصان في الكرمة ...
وصار الرب يقربنا إليه باستمرار ، ويرفعنا قدامه ...
ومع أنه إبن الله الوحيد ، الكائن في حضن الآب منذ الأزل ، يمس نفسه في غالبيه الأوقات : " إبن الإنسان " . ونحن بني الإنسان يدعونا أولاد الله ، ويكررها مرات عديدة ...
ويقول عنا نور العالم ، ويطلب إلينا أن يضئ نورنا قدام الناس (مت٥ : ١٤ ، ١٦) . ويدعونا أصدقاء له ، وأحباء ، وخاصته التي يحبها حتى المنتهي . ولكن الأكثر من هذا كله أن يسمح الرب بأن ندعي أخوته ! ويقول الكتاب : " ومن ثم كان ينبغي أن يشبه أخوته في كل شئ " (عب٢ : ١٧) ويقول أيضاً : " ... ليكون هو بكراً بين أخوة كثيرين " (رو٨ : ٢٩) .

من هم أخوته هؤلاء ؟! هم نحن التراب والرماد ...

لو أن أحد الآباء الكهنة في أيامنا ، أرسل خطابا إلى واحد من أولاده ، يقول له فيه : " أيها الأخ العزيز " ، لصاح الناس : ما هذا التواضع العجيب وأخلاء الذات ؟! كيف يدعو إبنه أخاً له ؟!
فماذا نقول إذن عن رب الأرباب عندما يدعونا إخوته ؟!
بل أكثر من هذا أن الرب كثيراً ما يختفي لنظهر نحن . فعندما ظهر الرب لشاول الطرسوسي ودعاه ، فاستجاب وقال : " ماذا تريد يارب أن أفعل " (أع٩ : ٦) . حوله الرب إلى القديس حنانيا في دمشق قائلاً له : ط قم وأدخل المدينة فيقال " (أع٩ : ٦) حوله الرب أن نفعل " .
وظهر الرب في رؤيا لحنانيا ، وكلمة من جهة شاول ، فشفاه وعمده إليه ريالة الرب .
إن عمل الكهنوت كله ، وكل أعمال الخدمة والرعاية ، هي أعمال للرب ، يعمل فيها الله في إختفاء ، ويجعلنا نحن ظاهرين في الصورة . هو يعمل فينا ، وهو يعمل بنا ، وهو يعمل معنا ، ولكنه غير ظاهر ، أما نحن فنبدو للناس ، كأننا نعمل . بينما " ليس الغارس شيئاً ولا الساقي ، بل الله الذي ينمي " (١كو٣ : ٧) . ولكن الله كثيراً ما يعطي السلطان لأولاده ، دون أن يستخدمه مباشرة ...
والمطلوب من الخدام الذين يعمل فيهم الله في أختفاء ، أن يختفوا هم ليظهر الله .
فمجد الله لا يجوز أن يعطي لآخر . أما الخدام فعليهم أن يصلوا قائلين : " ليس لنا يارب ليس لنا ، ولكن لإسمك القدوس أعط مجداً " (مز١١٥ : ١) .
وعمل المعجزات يعلمه الله أيضاً في اختفاء عن طريق أولاده فيظهرون هم في الصورة ، أما الرب فيقول لهم في حب " من يكرمكم يكرمني " ... الله يرسل السيدة العذراء ، أو الملاك

ميخائيل أو مارجرجس أو غيرهم من القديسين ، فيعلمون معجزات ، ويمجدهم الناس ، ويفرح الرب بأن أولاده يتمجدون ... بل كثيراً ما يقع إنسان في ضيقة ، فيصرخ مستغيثاً " يا مارجرجس " ، ويسمع الرب ، فيرسل مارجرجس ، فينقذه ... أو ينذر إنسان نذراً للعذراء ... ويفرح الرب ويستجيب ...

بل أن الكنائس ــ وهي كنائس الله ــ سمح أن تبني على أسماء أولاده . فنقول كنيسة العذراء ، وكنيسة مارجرجس ، وكنيسة الأنبا أنطونيوس ، وكنيسة مارمرقس ... وكلها بيوت للرب . ولكن الرب يفرح بأولاده ...

بل حتي شريعة الرب ينسبها أيضاً لأولاده أحياناً ، فيقول :- " ناموس موسي " أو " شريعة موسى " ، بنما هي شريعة الرب لا غيره . ويقول الرب للأبرص : " قدم القربان الذي أمر به موسي " (مت٨ : ٤) ويقول أيضاً : " موسى من أجل قساوة القربان إذن لكم أن تطلقوا نساءكم " (مت١٩ : ٨) ، بينما الذي أمر هو الله ، والذي أمر هو الله . ولكن الله يرفع من شأن موسي ، ويضع إسمه بدلاً من نفسه ! ...

من هم هؤلاء يارب الذين تريد أن تظهرهم ؟ إنهم تراب ورماد ، عدم ليس لهم وجود ... ولكنهم أحباؤك قديسوك ...

هناك عبارة عجيبة في العهد القديم ، وقفت أمامها منذهلاً لحظات طويلة ... في قصة الله مع موسى النبي . عندما ثقلت المسئولية على موسي ، قال له الرب : " إجمع إلى سبعين رجلاً ... فأنزل وأتكلم معك هناك . وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم ، فيحملون معك ثقل الشعب " (عد١١ : ١٦ ، ١٧) .

تصوروا ، الله يأخذ من الروح الذي على موسى ويضع عليهم ! وما هو الروح الذي على موسى ؟ أليس من عندك يارب ؟! كيف تأخذ منه ؟ وكيف تأخذ منه أمام كل هؤلاء ؟ أعطهم أنت من عندك مباشرة كما أعطيت لموسى ، أنت يا مصدر كل عطية صالحة ، أنت مصدر الحكمة والتدبير والفهم ... كلا ، إنني آخذ أمامهم من الروح الذي على موسى ، وأضع عليهم ، وأرفع شأن موسى في أعينهم ... مبارك أنت يارب في كل تدبيرك الصالح .

الله يحب أولاده ، ويريد أن يكرمهم ، في السر والجهر .

بل أن الله كثيراً ما كان يسمي نفسه بأسماء أولاده .... فيقول : " أنا إله إبراهيم ، وإله إسحق ، وإله يعقوب " (خر٣ : ٦) . ما هذا يارب ؟ إنهم هم الذين ينبغي أن ينتسبوا إليك ... الله يختفي ويظهر أولاده . وهم بالمثل يختفون لكي يظهر هو أنها محبة متبادلة .

ومن المظاهر العجيبة في إخلاء الرب لذاته ، ورفع شأن أولاده ، قصة عماد الرب من عبده يوحنا بن زكريا ...

يوحنا الذي لم يكن مستحقاً أن ينحني ويحل سيور حذائه ، يوحنا الذي قال له في صراحة : " أنا محتاج أن أعتمد منك " ، يقف أمامه رب المجد قائلاً : " إسمح الآن " ... فسمح له ، وإعتمد الرب منه ... يا للعجب ... رئيس الكهنة الأعظم ، وراعي الرعاة ، الكاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق يأتي ليعتمد من يوحنا ، بينما تنفتح السماء ، ويسمع صوت الآب قائلاً : " هذا هو إبني الحبيب الذي به سررت " (مت٣ : ١٣ ــ ١٧) .

كانت معمودية يوحنا للتوبة ... ولم يكن السيد المسيح محتاجاً إلى التوبة مطلقاً لأنه قدوس بلا عيب . فلماذا أعتمد ؟! الذين جاءوا إلى يوحنا ليعتمدوا جاءوا معترفين بخطاياهم (مت٣ : ٦) . ولم تكن للرب خطايا يعترف بها ، ويتوب عنها ويعتمد بسببها ، حاشا ... فلماذا إعتمد إذن ؟! إنه من أجلنا أخلي ذاته وأخذ شكل العبد ... وبنفس الوضع ، من أجلنا إعتمد . من أجلنا أخذ شكل الخطاة ، إذ وضع عليه إثم جميعنا ، ووقف يطلب عنا معمودية التوبة ، كنائب عن البشرية الخاطئة ...

لماذا أخلى الرب ذاته ؟

كثيرة هي الأسباب التي لأجلها أخلي ذاته ، نذكر منها :

١. لكي نستطيع أن نتمتع به ونوجد معه :

لو أنه ظهر في جلال لاهوته ، ما كان إنسان يستطيع أن يقترب إليه ... ما كان تلميذه يوحنا يجرؤ أن يتكئ على صدره ، وما كان الأطفال يسطيعون أن يجروا نحوه ويحيطوا به ويهرعوا إلى حضنه ، وما كانت المرأة الخاطئة تستطيع أن تتقدم نحوه وتمسح قدميه بشعرها . بل ما كانت العذراء تستطيع أن تحمله على كتفها أو ترضعه من ثديها .

لو كان قد نزل في قوة لاهوته ، لكان الناس يرتعبون منه ويخافون ... إن الرب عندما نزل على الجبل ليعطي الوصايا العشر . " أرتجف كل الجبل جداً ، وصار كل الجبل يدخن ، وصعد دخانه كدخان الأتون " (خر١٩ : ١٨) و " أرتعد الشعب ووقفوا من بعيد . وقالوا لموسى : تكلم أنت معنا فنسمع . ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت " (خز٢٠ : ١٨ ، ١٩) . وهكذا رأي الرب أن يخلي ذاته ، حتى يمكن للناس أن يختلطوا به دون أن ترعبهم هيبته ، أو يصدهم جلاله إن موسى النبي ، عبد الرب ، عندما قضي معه أياماً على الجبل لأخذ اللوحين نزل فإذا وجهه يلمع لم يستطيع الناس أن يحتملوه : " فخافوا أن يقتربوا إليه " (لذلك كان يضع على وجهه برقعاً حتى يحتمل الشعب أن ينظروا إليه (خر٣٤ : ٢٩ ــ، ٣٥) .

فإن كان هذا هو الجلال الذي أخذه موسى من عشرته للرب ، فماذا يكون جلال الرب نفسه ؟! وإن كان الناس لم يحتملوا النور الذي على وجه موسى وهو نازل من عند الرب ، فكيف تراهم كانوا يحتملون نور مجد الرب الذي قال عنه القديس يوحنا الرسول في رؤياه أن: " وجهه كالشمس وهي تضئ في قوتها " (رؤ١ : ١٦) ؟!

إنه عندما ظهر لشاول الطرسوسي ، بهرت عيناه من قوة النور . وظل فترة لا يبصر والقشور تغطي عينية . فمن كان يحتمل أن يرى الرب في مجده ... من يرى الرب ويعيش ؟!

وعندما أظهر الرب شيئاً من مجد لاهوته على جبل التجلي ، كان التلاميذ مرتعبين ، ولم يكن بطرس يعلم ما يتكلم به (مر٩ : ٦) . ولما سمعوا الصوت من السحابة : " سقطوا على وجوههم ، وخافوا جداً " (مت١٧ : ٦) . كيف كان ممكناً إذن أن يحتمل الناس مجد الرب لو لم يخل ذاته ؟ وهو أيضاً من أجل إنكاره لذاته ، لم يأخذ معه كل تلاميذه إلى جبل التجلي ، ولم يعلن هذا المجد للجميع . وحتي الذين شاهدوا مجده : " أوصاهم أن لا يحدثوا أحداً بما أبصروا إلا متى قام ... " (مر٩ : ٩) .

إن إخفاءه لأمجاده مظهر آخر من إخلاء الذات ...

كان الرب يستطيع باستمرار أن يكون في مجد التجلي بين الناس ، ولكنه لم يفعل . كان يريد أن يتمتعوا به ، ويختلطوا به ، لا أن يهربوه .

ولماذا أيضاً أخلي ذاته ؟

٢. أراد أن يصحح فكرة الناس عن الألوهية :

لقد إقترب إلينا حتى لا تظل فكرة الناس عن الألوهية أن الله جبار ومخيف فأراد أن يجذبنا بالحب لا بالخوف .

أراد أن يدخل قلوبنا عن طريق محبته ، لا عن طريق مخافته . وهكذا نري أنه عندما رفضت إحدي قري السامرة أن تقبله ، رفض أن يسمع لتلميذه اللذين طلبا أن تنزل نار من السماء وتفني تلك القرية ، ووبخها قائلاً : " لستما تعلمان من أي روح أنتما " (لو٩ : ٥٥) . إنه لم يشأ أن يرهب أهل السامرة بقوته ، بل أن يكسبهم بمحبته . وصبر معلمنا الصالح إلى أن جاء الوقت الذي دخل فيه أهل السامرة بالمحبة والترحاب لا بالنار النازلة من السماء ...

الله لا يريد أن يكون مخيفاً بل محبوباً . الناس بطبيعتهم ينفرون ممن يخافونه . وقد يخضعون له في ذل ، لكنهم ينفرون منه في قلوبهم ...
كان التلاميذ يريدونه قوياً جباراً مهاباً ، بحسب فهمهم البشري ، لذلك انتهروا الذين قدموا الأطفال إليه . أما هو ، فقال لهم : " دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم ... " . وأخذ الأولاد : " وإحتضنهم ، ووضع يديه عليهم وباركهم " (مر١٠ : ١٣ ــ ١٦) . وكذلك عندما إنتهر التلاميذ الأعمين الصارخين نحوه ، وقف المسيح وناداهما ، وتحنن ، ولمس أعينهما فأبصره وتبعاه (مت٢٠ : ٣٠ ــ ٣٤) .

٣ ـ وأخلي الرب ذاته ليعالج السقطة الأولي :

ماذا كانت السقطة الأولي سوي الكبرياء ، سواء سقطة الشيطان أو سقطة الإنسان ؟! فالشيطان قال في قلبه : " أصعد إلى السموات ، أرفع كرسي فوق كواكب الله ... أصير مثل العلي " (إش١٤ : ١٣ ، ١٤) . وعندما أسقط أبوينا الأولين أغراهما بقوله : " تنفتح أعينكما ، وتكونان مثل الله ... " (تك٣ : ٥) .
أخلي الله ذاته آخذاً صورة العبد ، لكي يعطي درساً للعبد الذي أراد أن يرفع ذاته ويصير إلهاً . وهكذا صار إبن الله الوحيد إبناً للإنسان ، ليعالج كبرياء الإنسان ويجعله إبناً لله ، بالإتضاع الذي إتضع به إبن الله ، وليس بكبرياء السقطة الأولي ...
وهكذا في إخلائه لذاته قيل إنه شابه : " أخوته " في كل شئ ... (عب٢ ك ١٧) .
إن الرب عندما يسمي عبيده ومخلوقاته أخوة له ، إنما يبكت الذين يعاملون إخوتهم كعبيد لهم ، أولئك الذين يؤلهون أنفسهم كلما ينالون مركزاً أعلي من إخوتهم ... أما السيد المسيح إلهنا فلم يفعل هكذا ... لقد أخلي ذاته ، حتى استطاع بطرس أن يأخذه إليه وينتهره قائلاً : " حاشاك يارب ... " (مت١٦ : ٢٢) . وسمح لكثيرين أن يجدلوه ويناقشوه ، بعكس كثرين من البشر الذين لا يقبلون جدالاً من أحد وكان تلاميذه يحاورنه حسبما يريدون حتى سموهم " الحواريين " ...
وهكذا أخلي السيد المسيح ذاته ، وصار كواحد منا ... أراد الإنسان أن يرتفع ويصير مثل الله . فنزل الله وصار مثل الإنسان ... لكي ينيله بغته ، ولكن بطريقة سليمة ، بإتضاع الله لا بأرتفاع الإنسان ....
الإنسان كان يريد أن يقف مع الله في صف واحد ... فبدلاً من أن يرتفع الإنسان ليقف مع الله ، نزل الله ليقف مع الإنسان . ليكما بنزوله يخجل الإنسان وتنسحق نفسه ويتضع قلبه . وباتضاعه يقترب إلى صورة الله المتضع . لقد أخذ الرب صورة العبد ، لكي يخفض من تشامخ السادة ... فليتنا نتضع كلما تأملناه إخلاء الرب لذاته . ليتنا نتضع نحن الذين كلما أعطينا سلطاناً في أيدينا ، نريد أن تميد الأرض تحت أقدامنا ، وترتعش السموات من فوق ...

كيف نخلي ذواتنا ؟

إن كان السيد المسيح قد أخلي ذاته ــ وفيه كل الملء ــ فنحن الفراغ ، كيف نخلي ذواتنا ؟! السيد المسيح الذي فيه كل ملء اللاهوت ، أخلي ذاته وصار في الهيئة كإنسان . وهو الإله أخذ شكل العبد ، فالعبد عندما يخلي ذاته أي شئ يكون ؟ إن سرنا الإنسان هو أن يسأل الإنسان ذاته : ما هي ذاتي حتى أخليها ؟! وعندما يشعر الإنسان أنه فراغ ، لا يوجد فيه شئ يخليه ، يكون حينئذ في طريقة إلى كل الملء ...

النزول إلى فوق :

إن السيد المسيح إلهنا ــ عندما أخلي ذاته ــ نزل من السماء إلى الأرض ، وما أبعد المدي بين الإثنين ! ونحن الذين على الأرض إن أردنا أن ننزل منها فإلي أين ننزل ، وإلى أين نهبط ؟ هل تعلمون إلى أين ننزل وإلى أين نهبط ؟ لا شك أننا في هبوطنا ، وإنما نهبط من الأرض إلى السماء . وفي نزولنا إنما ننزل من تحت إلى فوق ... !!

وهكذا نري أن السيد الرب قد غير المقاييس البشرية ، مقاييس العلو والهبوط ... ألغاها كلها ، وغيرها إلى العكس فقال : " من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع " (مت٢٣ : ١٢) . وقال في نفس المعني : " من أراد أن يكون فيكم عظيماً ، فليكن خادماً . ومن أراد أن يكون فيكم أولاً ، فليكن عبداً " (مت٢٠ : ٢٦) . وقال أيضاً : " إذا أراد أحد أن يكون أولاً ، فليكن آخر الكل وخادماً للكل " (مر٩ : ٣٥) .

فالشخص الذي يرفع نفسه ، إنما يهبط بمستواها الروحي . كلما إنتفخ ، يتضاءل حتى يصبح لا شئ ... مثل هذا شبهه القديس أوغسطينوس بالدخان الذي كلما يرتفع ، تتسع رقعته . وكلما تتسع رقعته يتلاشي حتى يصبح لا شئ . وقد أخذ القديس أوغسطينوس هذا التشبيه عن داود النبي عندما قال : " لأن الأرشاد يهلكون فنوا كالدخان فنوا " (مز٣٧ : ٢٠) " كما يذري الدخان تذريهم " (مز٦٨ : ٢) .

إن الذين يظنون أنهم يرفعون ذواتهم ، إنما (يرفعونها) إلى أسفل ، لا إلى فوق وهذا هو ما قصده الرب بقوله : " من يرفع نفسه يتضع " ...

أما المتواضعون فكلما يهبطون إلى أسفل يرتفعون إلى فوق أو ــ أن صح التعبير يهبطون إلى فوق ... هم باستمرار ينزلون إلى الأعالي الكائنة في الأعماق ، لأن السيد الرب أعطانا فكرة جديدة عن العلو والعمق ، عندما أخلي ذاته .. لقد علمنا أن العلو هو العمق ، وأن العلو والعمق ،عندما أخلي ذاته ... لقد علمنا أن العلو هو العمق ، وأن العلة يوجد تحت لا فوق ... وأعطانا مقاييس للعظمة لم تعرفها البشرية من قبل .

إن المتضعين من قبل في هبوطهم ، والمتكبرين يهبطون في صعودهم . وكل من يريد أن يصعد إلى فوق ، ويلتصق بالله ، علية أن ينزل إلى الأرض ويقول مع داود : " لصقت بالتراب نفسي " (مز١١٩ : ٢٥) . وإلهنا البائس من المزبلة ، ليجلس مع رؤساء شعبه " (مز١١٣ : ٧) .

والآن ، كيف تخلي ذاتك أيها الأخ :

إن لم تتمكن من إخلاء ذاتك بالتمام ، فعلي الأقل :

- إخفض نفسك درجة عما تستحقه ، أو عما تظن أنك تستحقه ، في نظر الناس . في إحدي المرات رسم كاهن جديد ، وقضي فترة الأربعين يوماً في الدير . وفي تلك الفترة ــ وهو في الدير ــ سألني نصيحة له في خدمته المقلبة ، فقلت له :

كن إبناً وسط إخوتك ، وأخاً وسط أولادك " .

- جرب كيف تتنازل عن حقوقك ، عما يليق بك من كرامة . وفي كل وقت ضع أمامك الآية التي تقول : " المحبة لا تطلب ما لنفسها " (١كو١٣ : ٥) ... فلا تطلب أن تأخذ كل حقوقك ، ولا تطلب أن تدافع عن نفسك في كل شئ ...
- في إخلائك لذاتك إلق عنك الأشياء التي تضخمك في نظر نفسك أو في نظر الناس ، عليك أن تتخلي عن مظاهر العظمة ، وتعيش بسيطاً ....
- واعلم أن السيد المسيح في إخلائه لذاته ، أعطانا فكرة أن العظمة لا تتبع من مظاهر خارجية ، وملا من رفعة تحيط لذاته ، أعطانا فكرة أن العظمة لا تتبع من مظاهر خارجية ، وى من رفعة تحيط بالإنسان . وإنما العظمة الحقيقية تتبع من الداخل ، من كنه الذات النقية . كلما يصير القلب نقياً ، يأخذ صورة الله ، ويصير حقاً على مثال الله حسبما خلق في البدء (تك١ : ٢٦ ، ٢٧) .

- وفي كل نقاوتك وفضائلك ، إنسب الفضل كله لله لا إلى نفسك . أشـــعر دائمـــاً أن الله هـــو العامل فيك ، وليس أنت . وأنك بدونه لا تستطيع أن تعمل شئياً .

وإذا إشتركت مع إنسان في عمل ، قدمه على نفسك في كل شئ . أعطه التفوق ، وأعطه الفضل ، وانسب إليه ما تحاولبأن تنسبه إلى نفسك من العظمة . حتول أن تختفي ليظهر الله ، ولتظهـــر أخوتك ...

- وإن لم تستطع أن تخلي ذاتك ، فعلي الأقل لا تضع فوقها ثقلاً جديداً من الارتفاع ، حتى لا تنوء نفسك تحت ثقل إرتفاعك ..

على الأقل ... لا تكبر ذاتك . لا تتحدث عن نفسك ، لا تشرح فضائلك لا تسرد قصصاً يفهمون منها شيئاً عالياً عنك ...

ضع أمامك صورة المسيح في إخلائه لذاته ..

ملء الزمان

" ولكن لما جاء ملء الزمان ،
أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة
تحت الناموس "
(غل٤ : ٤) .

ملئ الزمان :

إن إنتظاره " ملء الزمان " هو درس روحي عميق نستفيده في حياتنا ، عندما نتأمل قصة التجسد وكيف حدد الله ميعادها .
وعندما أخطأ آدم وحواء وعدهما الله بالخلاص ، قائلاً لهما إن نسل المرأة سيسحق رأس الحية . وإنجبت المرأة قايين وهابيل وشيث ... ولم يحدث أن أحداً منهم سحق رأس الحية . بل ظلت الحية رافعة رأسها في خطر ، حتى كادت تهلك العالم كله في أيام نوح ...
ــ فإلى متي يارب ننتظر ؟ متى تحقق وعدك بالخلاص ؟
ــ " ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه (أع١ : ٧) . فاصبروا وإنتظروا خلاص الرب . وكل شئ سيتم في حينه ، في ملء الزمان .
إن الله يعمل في الوقت المناسب ، حين يري العمل والظروف كلها تساعد على هذا العمل . الله طويل الأناة في تدبيره . ومعالجته للمشاكل ربما تأخذ وقتاً ولكنها تكون قوية ونافعة .
متى نفذ الرب وعده بالخلاص ؟ نفذه بعد آلاف السنين ...
والحكمة في ذلك سنوضحها فيما بعد . ولكننا نقول الآن يوماً عند الرب كألف سنة ، وألف سنة عنده كيم واحد " (٢بط٣ : ٨) كل تلك الآلاف عند الله كأنها لحظة أو طرفة عين . أما البشرية فإنها شغوفة بأن تنهي كل شئ بسرعة ... حمي الإسراع هي حمي تنتاب البشر جميعاً . تريد التعجل في كل شئ ، ولا تستطيع صبراً على شئ . الناس يجرون وراء حاجاتهم جرياً بدون تفكير في غالبية الأوقات .

محبه العجلة والإسراع :

- وعد الرب أبانا إبراهيم بأن يكون له نسل ، مثل نجوم السماء ورمل البحر . وأنتظر إبراهيم طويلاً ولم يعط نسلاً كنجوم السماء ... ولا حتي إبناً واحداً ... ماذا يارب ، هل نسيت مواعيدك ؟ كلا ، إنني لم أنس ، ولكنك أنت الذي تريد أن تتعجل الأمور قبل مواعيدها ... " تقو وليتشدد قلبك ، وأنتظر الرب " ...
- وعاد إبراهيم ، فإنتظر مدة أطول ، ولكن النسل لم يعط له ... فبدأ اليأس يتطرق إلى قلبه ، ودفعه إليأس إلى أن يدخل على جاريته هاجر ، وينجب منها إبناً ... ولكن مشئيته الله ظلت كما هي " بسارة يدعي لك نسل " (تك١٧ : ٩) ... وعاد إبراهيم فإنتظر سنوات أخري ...

وحتى بعد ولادة إسحق ، مرت عليه عشرات السنوات ، ومازال الوعد الخاص بنجوم السماء ورمل البحر ينتظر التحقيق ... وعاد إبراهيم فاتخذ قطورة زوجة له . فولدت له زمران ويقشان ومديان ويشباق وشوحا (تك٢٥ : ١ ، ٢) ... لم تكن مشيئته الرب في كل هؤلاء ، فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق إبنه ... وإنتظر حتي يحقق الرب وعده ، في ملء الزمان ... بطريقته الهادئة ، التي لا تعجل فيها ...

- إن اليأس من وعود اله ومواعيده يدعو إلى التعجل . والعجلة تدعو إلى إستخدام الطريق البشرية . والطريق البشرية تتنافي مع طرق الله الصالحة . وسنأخذ مثلاً لذلك رفقة زوجة إسحق .
- قال الرب لرفقة وهي بعد حبلي : " في بطنك أمتان ، ومن أحشائك يفترق شعبان : شعب يقوي على شعب ، وكبير يستعبد لصغير " (تك٢٥ : ٢٣) . والكبير هو عيسو ، يستعيد للصغير الذي هو يعقوب .
- كيف هذا يارب ؟ كيف يستعبد الكبير للصغير ؟ طالما هو البكر فهو السيد . فهل سيفقد البكورية ؟ كيف يكون ذلك ؟

- يجيب الرب : اتركوا هذه الأمور لي ، سأعلجها بطريقتي الخاصة ، الهادئة الصالحة . ومرت الأيام والسنون ... أين يارب وعدك ؟ يجيب : إنتظروا ، سيتم كل شئ في حينه ، في ملء الزمان . ثم أتي اليوم الذي طلب فيه إسحق صيداً من إبنه عيسو ، لكي يباركه . وهنا لم تستطع رفقة أن تحتمل ، فقدمت حيلة بشرية لأبنها يعقوب ليأخذ بها البركة عن طريق خداعة لأبيه ...

لماذا أسرعت رفقة ؟ ولماذا لم تنتظري الرب ؟ ولماذا لجأت إلى الطرق البشرية الخاطئة التى لا تتفق مع مشيئته الله الصالحة ؟ إنها حمى الإسراع وعدم إنتظار ملء الزمان ... وماذا كانت النتيجة ؟ كانت سنوات طويلة من المتاعب والآلام ، قضاها يعقوب شريداً هارباً وخائفاً من أخيه . ومتعباً من معاملة لابان السيئة وخداعة له . وقد سجل يعقوب ملخص حياته هذه بقولة : " ايام سني غربتي ... قليلة وردية " (تك ٤٧ : ٩) .

حنة أيضاً كانت تطلب إبناً من الرب ، وكانت ضرتها تغيظها غيظاً . وبدا كما لو أن الرب كان يسمع . ويظل ساكتاً !

ومرت الأيام ، وحنة ما تزال عاقراً " وهكذا صار سنة بعد سنة ، كلما صعدت إلى بيت الرب أن (ضرتها فننه) كانت تغيظها . فبكت ولم تأكل " (١صم١ : ٧) . والرب يسمع ويري ، ومع ذلك يبدو ساكتاً لا يعمل شيئاً ! ... إلى متى يارب لا تستجيب ؟ إلى متى تحتمل بكاء حنة من إغاظة ضرتها ؟

يجيب الرب :إنتظروا ملء الزمان . إن الذي يتعبكم ليس هو طول أناتي ، بل الذي يتعبكم هو حمي الإسراع . إنتظرونا ، فالانتظار له فائدة ...

وكان من فائدة الانتظار أن حنة نذرت نذراً أن تعطي إبنها للرب كل أيام حياته . وقد كان ، وولد لها صموئيل .

ولد صموئيل في ملء الزمان ، متأخراً جداً . ولكنه كان أفضل من جميع أولاد فننة ، ضرة أمه التي كانت تغيظها ... من هم أولاد فننة ؟ إننا لا نعرف شيئاً عنهم ولا حتى عن أسمائهم ، أما صموئيل فيعرفه الجميع ...

ليتنا إذن في معاملاتنا للرب ، نصبر ، وننتظر ملء الزمان .

إن الضيقات تحتاج إلى طول أناة ، حتى يرفعها الرب عنا في الحين الحسن ، في ملء الزمان ، بعد أن نكون قد أخذناه بركتها . ولكننا أحياناً لا نفعل هكذا بل نضيق بسرعة ، ونصرخ : " لماذا يارب تركتنا ؟ لماذا لم تسمع الصلاة ؟ " ...

قد يكون لك مريض تطلب شفاءه ، وتلح في ذلك . وقد يبطئ الرب في الإستجابة حتي يأتي ملء الزمان الذي يحدده للمريض حسب حكمته في إختيار الأوقات . أما أنت فتضجر وتصيح في ضجر : " ليه يارب ما بتسمعش ؟ أمال إيه لازمة الصلاة ؟ أمال إيه فايدة سر مسحة المرضي !! " وتعمل خناقة مع ربنا ... ليس لأن الله قد أخطأ في حقك ، وإنما بسبب محبتك للإسراع وعدم إنتظارك ملء الزمان .

ملئ الزمان هو الوقت المناسب :

بنفس حكمة ملء الزمان ، إنتظر الرب حتى يعد كل شئ لتجسده ، ثم بعد ذلك نزل إلينا في الوقت المناسب ...

لم يكن هناك وقت مناسب أكثر من موعد مجيئه بالذات . كان كل شئ مهداً وكل شئ معداً . لذلك كان عمل مجيئه قوياً ، وكان تقبل الناس له سريعاً ...

كانت النبوءات قد إكتملت ، وكذلك الرموز . وأعد الرب فهم الناس لها خلال مدي طويل ، حتى يستطيعوا أن يستوعبوها عندما يتم المكتوب ويتحقق الرمز ...

خذوا لذلك مثالاً هو فكرة الذبيحة والفداء :

كيف تدرج الله بهم من الذبيحة التي غطي آدم وحواء وعريهما بجلدهم إلى ذبيحة هابيل التي " من أبكار غنمة ومن سمانها " ، إلى فكرة ذبيحة الإبن الوحيد التي تمثلت في إسحق ، إلى شروط الذبيحة الت بلا عيب ، التي تحمل خطية غيرها وتموت عنه ... وتركهم آلافاً من السنين حتى احتضنوا الفكرة واستوعبوها وصارت من بديهيا تهم ...
إن الله طريقته هادئة وطويلة المدي ، ولكنها منتجة ونافعة ...
صدقوني ، لو أن الله صبر كل تلك الآلاف من السنين حتى يجد العذراء الطاهرة التي تستحق أن يولد منها الرب ، والتى تحتمل أن يولد منها الرب ، لكان هذه واحده سبباً كافياً .
وكان ينبغي أن ينتظر حتى يوجد الرجل البار الذي تعيش تلك العذراء في كفنه ، ويحفظها في عفتها ، ويحتمل أن تحبل من الروح القدس ، ويقبل الفكرة ، يحمى الفتاة ، ويعيش كأنه أب لإبنها في نظر المجتمع ..
وكان ينبغي الانتظار حتى يولد الملاك الذي يعد الطريق قدام ملك الملوك ، أعني يوحنا المعمدان ذا الشخصية الجبارة والتأثير العميق . الذي يستطيع أن يقول : " في وسطكم قائم الذي تعرفونه ، هو الذي يأتي بعدي ، الذي صار قدامي ، الذي لست بستحق أن أحل سيور حذائه " (يو١ : ٢٧) " وينبغي أن ذاك يزيد ، وأني أنا أنقص . الذي يأتي من فوق ، هو فوق الجميع . الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع .. (يو٣ : ٣٠ ، ٣١) .
لعل أحداً يسأل : ولماذا لم يوجد الله كل هؤلاء منذ زمن ؟ نجيب بأن الله لا يرغم البشر على البر والقداسة . إنه ينتظر حتى توجد الآنية المستعدة بكامل أرادتها ..
هناك أسباب عديدة جداً توضح شيئاً من حكمة الرب في الانتظار حتى يأتي ملء الزمان . وأوضحها هو إعداد العالم كله وتهيئته لقبول فكرة التجسد وفكرة الفداء ...
وأخيراً ، عندما كمل كل شئ " لما جاء ملء الزمان ، أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة تحت الناموس ، ليفتدي الذين تحت الناموس ، لننال التبني " (غل٤ : ٤ : ٥) .

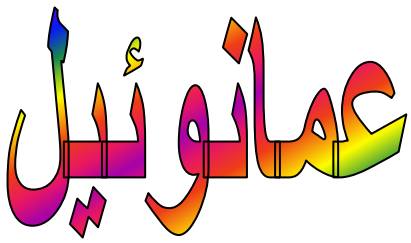

عمانوئيل

الذي تفسيره " الله معنا "

" هوذا العذراء تحبل وتلد إبناً
ويدعون إسمه عمانوئيل الذي
تفسيره الله معنا "
(مت١ : ٢٣)
" ها العذراء تحبل وتلد إبناً
وتدعو إسمه عمانوئيل "
(إش٧ : ١٤)

الله معنا :

جميل هذا الإسم الذي دعي به السيد المسيح في مولده ، عمانوئيل ، الله معنا .
إسم فيه الكثير من التعزية ، إذ فيه لكثير من حب الله لنا .
إن بركة عيد الميلاد هي هذه : أن نشعر أن المسيح هو الله معنا ، الله في وسطنا ، ساكن معنا ، وساكن فينا .
الله في الحقيقية يحب البشر جداً ، مسرته في بني البشر . يحب أن يهب الإنسان لذة الوجود معه ، ويحب قلب الإنسان كمكان لسكناه .
منذ أن خلق الإنسان ، خلقه على صورته ومثاله . وأراد أن يجعله موضعاً لسكناه ، أراد أن يسكن في قلب الإنسان ويحل فيه .
ومرت آلاف السنوات ، وإلهنا الصالح يحاول أن يجد له موضعاً في الإنسان ، ولكن الجميع كانوا قد زاغوا وفسدوا ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد ... لم يجد الرب في قلوبهم موضعاً يسند فيه رأسه ... فماذا عنك أنت أيها المبارك ؟
إن الله ينظر إلى قلبك ويقول : " هذا هو موضع راحتي إلى أبد الأبد . ههنا أسكن لأني إشتهيته " (مز١٣٢ : ١٤) .

مسكن الله مع الناس :

إن سكني الله مع الناس وفي وسطهم ، هي قصة قديمة . إنها قصة خيمة الإجتماع وتابوت العهد ، التي فيها نري الله يسكن وسط شعبه .
وكما أن سكني الله مع الناس دلالة خيمة الإجتماع ، هي أيضاً دلالة أورشليم السمائية في الأبدية ، التي قيل عنها : " هوذا مسكن الله مع الناس . وهو سيسكن معهم . وهم يكونون له شعباً . الله نفسه يكون معهم " (رؤ٢١ : ٣) .
وقد وضح هذا المعني بتشبيه أقوي في حبه :
قال إنه الرأس ونحن الأعضاء ، وقال الرسول عنا ككنيسة إبناً : " جسد المسيح " . ولعل مثل هذا التشبيه هو ما قصده الرب بقوله : " أنا الكرمة وأنتم الأغصان " (يو١٥ : ٥) ، وطلب منا أن نثبت فيه كما تثبت الأغصان في الكرمة ولعل هذا أيضاً هو جزء من الصلاة الطويلة التي صلاها في بستان جثسماني ، حيث قال عن تلاميذه : " أنا فيهم ، وأنت في ، ليكونوا مكملين إلى واحد " (يو١٧ : ٢٣) .
الله الذي حل في بطن العذراء لكي يأخذ منها جسداً ، يريد أن يحل في أحشائك لكي يملأك حباً ... إن أفضل مسكن لله هو فيك . الله لا يسر بالسماء مسكناً له ، بل هو واقف على بابك يقرع لكي تفتح له (رؤ٣ : ٢) . وهو يعتبر جسدك هيكلاً لروحه القدوس ويسكن روح الله فيه (١كو٣ : ١٦) .
الله الذي بصر في الحاح أن يسكن فيك ، يخاطب نفسك الحبيبة إليه بتلك العبارات المؤثرة : " افتحي لي يا أختي يا حمامتي يا كاملتي ن فإن رأسي قد إمتلأ من الطل ، وقصصي من ندي الليل " (نش٥ : ٢) . وتصور أن الله واقف طول هذه المدة يقرع على باباك محتملاً من أجلك الطل وندي الليل .
سماؤه الحقيقية هي قلبك ، لذلك يطلب إليك على الدوام قائلاً : " يا إبنى أعطني قلبك ... " (أم٢٣ : ٢٦) .
وهكذا يقول الرب : ط ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر " (مت٢٨ : ٢٠) . ويقول أيضاً : " إن إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمي ، فهناك أكون في وسطهم " (مت١٨ : ٢٠) . ويظل

الرب معنا في الأبدية التي لا تنتهي . وعن هذا الأمر قال للآب : " أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي ، حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً " (يو١٤ : ٣) . وهكذا قال يوحنا الرائي عن أورشليم السمائية إنها : " مسكن الله مع الناس " (رؤ٢١ : ٣) . هل إلى هذا الحد يارب ؟ نعم : أنا أريد أن أسكن معكم ، وأحل فيكم . هل إلى هذا الحد يارب ؟ نعم : أنا أريد أن أسكن معكم ، وأحل فيكم . أجد لذة في عشرتكم . أحب أن أكون في وسطكم ... أنا عمانؤئيل ، الله معكم ...

إن بركة عيد الميلاد تتركز في عبارة (عمانؤئيل) . الله معنا . فإن كنت يا أخي تحسن أنك مع الله ، والله معك ، تكون قد تمتعت فعلاً ببركة عيد الميلاد ...

لا تظن أن عيد الميلاد هو اليوم الذي إنتهينا فيه من الصوم وبدأنا نفطر !! أو أن عيد الميلاد هو اليوم الذي عملنا فيه قداس العيد بطقوسه وألحانه الفرايحى ... عيد الميلاد من الناحية الروحية هو عشرة عمانؤئيل ، الذي هو الله معنا ...

إن الله لا يريد منك شيئاً غير قلبك ليسكن فيه ... كل عبادتك وصلواتك هي مجرد عبادة خارجية ، إن لم يكن لله سكن داخل قلبك .

- الله يريد أن يقيم صداقة معك . يقول الكتاب : " وسار أخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه " (تك٥ : ٢٤) . منظر جميل أن نتخيل أخنوخ وهو سائر مع الله . وشعور عميق كيف أن الله لم يكنه أن الله لم يمكنه الاستغناء عن أخنوخ ، فأخذه إليه ...

إن بولس الرسول يشرح مجئ الرب الثاني على السحاب ، واختطافنا إليه ، فيختم هذا المشهد الجميل بقوله : " وهكذا نكون كل حين مع الرب . لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام " (١تس٤ : ١٧ ، ١٧) . وهنا على الأرض نلمح ملاحظة قوية في حياة القديسين ...

وهي أن القديسين كانوا يشعرون دائماً بوجودهم في حضرة الله . كانوا يرونه معهم على الدوام ، أمامهم وعن يمينهم ...

إنها عبارة متكررة على فم إيليا النبي إذ يقول : " حي هو رب الجنود الذي أنا واقف أمامه " (١مل١٨ : ١٥) . من فينا شعر باستمرار أنه واقف أمام عمانؤئيل الذي هو الله معنا ؟ ...

داود أيضاً كان يحس على الدوام بوجود الله معه إذ يقول : " رأيت الرب أمامي في كل حين ، لأنه عن يميني فلا أتزعزع " (مز١٦ : ٨) . ما هذا يا داود ؟ هل الرب أمامك أم عن يمينك ؟ هو معي في كل حين وفي كل موضع ، وفي كل إتجاه أشعر بوجود الله ...

- إن الشخص الذي يشعر بأن الله أمامه ، لا يمكن أن يخطئ ، سيخجل حتماً من الله . ويقول : " هوذا الله يراني وأنا أعمل ، هوذا الله يسمعني وأنا أتكلم ط . الله له عينان كلهيب نار تخترقان الظلام . فلو أننا شعرنا أن الله كائن معنا ، لكان من المستحيل علينا أن نخطئ . إن خطايانا دليل على أننا غير شاعرين بوجوده معنا .
- هناك حادثة حدثت مع القديس مارأفرام السرياني تثبت هذا الأمر .

في إحدي المرات هددته إمرأة ساقطة أن تشهر به إن لم يطاوعها ويفعل الشر معها . فتظاهر بالموافقة على شرط أن يحدث ذلك في سوق المدينة . فاندهشت المرأة وقالت له : [كيف نفعل هذا في السوق ؟! ألا تستحي من الناس وهم حولنا ؟!] فأجابها القديس : [إن كنت تستحين من الناس ، أفما تستحين من الله الذي عيناه تخترقان أستار الظلام ؟!] . وكان لكلام القديس تأثيره العميق في المرأة فتابت على يديه .

هل تظن يا أخي أن الملحدين فقط هم الذين ينكرون وجود الله ؟! أؤكد لك أنك في كل ترتكبها تكون قد نسيت وجود الله أو أنكرته عملياً . لو كنت مؤمناً فعلاً بوجوده أمامك ، لخجلت وخشي ... لا شك أن إحساسنا بعمانؤئيل ــ الله معنا ــ يعطينا الطهارة والنقاوة والقداسة ، على الدوام

* وإحساسنا بوجود عمانؤئيل ، الله معنا ، يعطينا الشجاعة وعدم الخوف .

لما بدأ يشوع خدمته ، قال له الرب : " لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك . كما كنت مع موسى أكون معك ، لا أهملك ولا أتركك ... تشدد وتشجع ، لا ترهب ولا ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب " (يش١ : ٥ ، ٩) .
الإنسان الذي يشعر بوجود الله ، يشعر بقوة عظيمة معه ، تزيل منه كل خوف وكل اضطراب ، وتهبه الثقة والاطمئنان ... واحد يسألك محرجاً ، فتخاف ، وتكذب ! لماذا تخاف ؟ إن الله معك ... لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك .
خطية الخوف هي خطية عدم إيمان ، عدم إيمان بعمانوئيل ورعايته . كان داود شجاعاً . وكان يقول : " الرب نوري وخلاصي ممن أخاف ... " " وإن نزل على جيش فلن يخاف قلبي ، وإن قام على قتال ففي هذا أنا مطمئن " (مز٢٧ : ١ ، ٣) . " الرب عوني فلا أخشى ، ماذا يصنع بي الإنسان ؟ " (مز١١٨ : ٦) . وفي هذه العبارات نلمح الفرق بين شجاعة القديسين وشجاعة أهل العالم . شجاعة أهل العالم سببها ثقتهم بقوتهم ، وشجاعة القديسين سببها ثقتهم بوجود عمانوئيل ، الله معهم .
ظهر الله لبولس الرسول في رؤيا بالليل وقال له : " لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت ، لأني أنا معك . ولا يقع بك أحد ليؤذيك " (أع١٨: ١٠) .
القديس بولس أخذ هذه العبارة ، وعاش بها ، ممتلئاً من الإيمان قوة . وقف قدام ليساس الأمير ، وفيلكس الوالي ، وأمام العزيز فستوس وأغريبا الملك . ولم يستطع أحد منهم أن يؤذيه . بل على العكس خافوا منه . لماذا خفتم أيها الملوك والأمراء من هذا الأسير المقيد بالسلاسل ؟ يجيبون : لم نخف منه ، وإنما من الإله الذي معه ، من الرب الساكن فيه ... بولس هذا في شخصه نستطيع أن نقدر عليه . ولكن لا نقدر عليه عندما يقول : " أحيا لا أنا ، بل المسيح الذي يحيا في " (غل٢ : ٢٠) .
قبض ليساس الأمير على القديس بولس ، فماذا فعل به ؟ هل آذاه في شئ ؟ كلا . بل أعد قوة مسلحة تتكون من ٢٠٠ عسكري ، و٧٠ فارساً بقيصرية ... (أع٢٣ : ٢٣ : ٢٤) صحيح يارب ، أنت معنا . وقف القديس بولس أمام فيلكس " وبينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون ، أرتعب فيلكس ... " (أع٢٤ : ٢٥) .
إرتعب الوالي من أسيره المقيد ، من القوة العجيبة التي تخرج منه ، من الله الذي معه ، من عمانوئيل ...
وقف القديس بولس الملك أغريباس ، فكانت النتيجة أن قال له الملك : " بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً " (أع٢٦ : ٢٨) . وشهد عنه قائلاً : " إن هذا الإنسان ليس يفعل شيئاً يستحق الموت أو القيود " . هذه فكرة عن عمل عمانوئيل إلهنا ، عندما يكون معنا ، ويحطم كل قوة أمام عبيده ، فلا يقع بهم أحد ليؤذيهم .
هذا هو عمانوئيل الذي كان مع الثلاثة فتية في أتون النار " فلم تكن للنار قوة على أجسامهم ، وشعره من رؤوسهم ل تحترق ، وسروايلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم " (دا٣ : ٢٧) ، حتى إنذهل نبوخذ نصر قائلاً : " ليس إله آخر يستطيع أن ينجي هكذا " ...

مصالحة السماء والأرض

ولكن الكل من الله الذي
صالحنا لنفسه بيسوع المسيح
وأعطانا خدمة المصالحة "

(٢كو٥ : ١٨) .

أول شئ نتذكره في ميلاد الرب هو عمق محبته للناس . فمن أجل محبته لهم سعي لخلاصهم . ومن أجل محبته لهم أخلي ذاته ، وأخذ شكل العبد ، ونزل من السماء ، وتجسد وصار في الهيئة كإنسان (في٢ : ٧ ، ٨) .

إن التجسد والفداء ، أساسهما محبة الله للناس . فهو من أجل محبته لنا ، جاء إلينا . ومن أجل محبته لنا ، مات عنا . لهذا يقول الكتاب : " هكذا أحب ... حتى بذل إبنه الوحيد ... " (يو٣ : ١٦) . أنظروا ماذا يقول : " هكذا أحب ... حتى بذل " . نحن إذن في تجسده ، نذكر محبته التي دفعته إلى التجسد . وإعترافاً منا بهذه المحبة ، نتغنى بها في بدء كل يوم ، إذ نقول للرب في صلاة باكر : " أتيت إلى العالم بمحبتك للبشر ، وكل الخليقة تهللت بمجيئك " . قبل ميلاد السيد المسيح ، كان هناك خصومه بين الله والناس . فجاء السيد المسيح لكي يصالحنا مع الله ، أو جاء لكي نصطلح معه هو . قبل مجيئه كانت هناك خصومة بين السماء والأرض . ومرت فترة طويلة كانت فيها شبه قطيعة بين السمائيين والأرضيين : لا رؤي ، ولا أحلام مقدسة ، ولا أنبياء ، ولا كلام من الله للناس ، ولا ظهورات مقدسة ... ولا أية صلة واضحة ... !! كانت الأرض بعيدة عن السماء طوال تلك الفترة ...

كانت خطايا الناس كالليالي الشتاء : باردة ومظلمة وطويلة . وكانت تحجب وجه الله عنهم . وكانت الخصومة بينهم وبين الله ، يثلها في الهيكل الحاجز المتوسط اليذ لا يستطيع أحد من الشعب أن يختاره إلى قدس الأقداس ... وزادت خطايا الناس ، وأحتدم غضب الله عليهم ، وإستمر القطيعة . ولم يحاول البشر أن يصطلحوا مع الله .

ثم جاء السيد المسيح ، فأقام صلحاً بين الناس والأرض ، وأرجع الصلة بينهما . وبدأت تباشير الصلح تظهر . ورجعت العلاقات كما كانت من قبل وأكثر ... ولكي أوضح الأمر لكم أقول : تصوروا أن دولتين متخاصمين ، قد رجع الصلح بينهما ، فماذا تكون النتيجة : طبعاً ترجع العلاقات كما كانت : يعود التمثيل السياسي بينهما ، وإرسال السفراء والقناصل ... وفي ظل المودة الجديدة تبرم أتفاقية اقتصادية ، إتفاقية عسكرية ... المهم أنه توجد علاقة وصلة . كذلك لنفرض أن شخصين متخاصمين قد إصطلحا ، في ظل الصلح نري العلاقات قد بدأت ترجع ، تعود التحيات والابتسامات والزيارات والأحاديث ، وتعود المودة ... هكذا حدث بين السماء والأرض . وبدأت تباشير الصلح تظهر بمجئ السيد المسيح أو في خطوات وممهدات مجيئه ..

تباشير الصلح .

وأول شئ شاهدناه من تباشير هذا الصلح هو كثيرة نزول الملائكة إلى الأرض .

في مجئ السيد المسيح وقبيل مجيئه إزداد ظهور الملائكة بشكل واضح ظهورات متوالية ، فردية وجماعية ، كسفراء للرب . وتهلل الملائكة بفرح عظيم ، وأرادوا أن يشتركوا في هذا الحدث العجب وهو تجسد الرب وميلاده فظهر ملاك يبشر زكريا بولادة يوحنا (لو١ : ١١) ، وملاك يبشر العذراء بولادة السيد المسيح (لو١ : ٢٦) ، وملاك ظهر ليوسف في حلم يخبره بحبل العذراء (مت١ : ٢٠) . وملاك ظهر للرعاة يبشرهم بالميلاد الإلهي (لو٢ : ٩) . وملاك ظهر ليوسف في حلم وأمره أن يهرب بالطفل يسوع وأمه إلى مصر (مت٢ : ١٣) . بالإضافة إلى هذا جمهور من الملائكة الذين ظهروا مسبحين الله وقائلين : ط المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة " (لو١٢ : ٢٣ ، ١٤) .

إن ظهور الملائكة بهذه الكثرة ، يدل على أن العلاقات بدأت ترجع بين السماء والأرض ، وتدل على فرح الملائكة بالخلاص المزمع ، وإشتراكهم مع الأرضيين في هذا الفرح .

وظهور الملائكة في فترة الميلاد كان مجرد طلائع للملائكة الذين ملأوا العهد الجديد ... ملائكة كانوا يخدمون الرب على جبل التجربة (مر١ : ١٣) ، وملائكة القيامة الذين ظهروا لنسوة ، ومثل الملاكين اللذين طمأنا الرسل وقت صعود الرب (أع١ : ١٠) ...
كان هؤلاء جميعاً طلائع نعرف بهم الملائكة غير المرئيين المحيطين بنا إن ، الذين قال عنهم القديس بولس الرسول : " أليس جميعهم أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب١ : ١٤) .
ولم يكتف السماء في صلحها مع الأرض بظهور الملائكة ، بل إمتدت إلى الأحلام المقدسة بما فيها من توجيه ومن إعلان .
إجتمع الأمران معاً بالنسبة ليوسف الصديق : ملاك ظهر له في حلم يخبره بالحبل المقدس (مت١ : ٢٠) . وملاك ظهر له في حلم يأمره بالذهاب إلى مصر (متت٢ : ١٣) . ثم بعد ذلك ظهر له ملاك في حلم أرض مصر يأمره أن يرجع إلى بلدة لأنه " قد قام الذين كانوا يطلبون نفس الصبي " (مت٢ : ٢٠) . ولما خاف أن يذهب إلى اليهودية بسبب أن أرخيلاوس كان يملك هناك ، " أوحي إليه في حلم " أن ينصرف إلى نواحي الجليل ، فذهب وسكن في الناصرة (مت٢ : ٢٢) .
هؤلاء الملائكة الذين ظهروا ليوسف الصديق في الأحلام ، يعطوننا فكرة عن سمو مكانه العذراء . فالعذراء ظهر لها الملائكة عياناً في صحوها ، رأتهم بعينيها وسمعتهم بأذنيها ، أما يوسف الصديق فرأي وسمع في الأحلام . إن هذا يذكرنا بالفرق الكبير بين مركز موسي النبي ومركز هارون ومريم . اللذين وبخهما الرب عندما تقولا على موسي ، فقال لهما : " إن كان منكم نبي للرب ، فبالرؤيا إستعلن له ، في الحلم أكمله . وأما عبدي موسي فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي . فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه " (عد١٢ : ٦ ــ ٨) .
لقد كلم الملائكة يوسف الصديق عن طريق الأحلام . وهكذا حدث أيضاً مع المجوس إلى هيرودس ، فانصرفوا إلى كورتهم " (مت٢ : ١٢) .
وحديث المجوس يذكرنا بظهورات مقدسة أخري صاحبت حديث الميلاد ، ونقصد أولاً النجم الذي ظهر للمجوس ، وأرشدهم إلى مكان المزود المقدس(مت٢ : ١ ــ ١٢) . لم يكن ذلك النجم عادياً ــ كما شرح القديس يوحنا ذهبي الفم ــ بل كان قوة إلهية أرشدتهم . ذلك أن مساره كان غير عادي من المشرق إلى الغرب ، وكان يظهر حيناً ، ويختفي حيناً آخر ، ويقف حيناً ثالثاً . كذلك يقول عنه أنه : " وقف حيث كان الصبي " . هذا النجم كان ظهوراً مقدساً ولم يكن نجماً كباقي النجوم ...
وفي صلح السماء مع الأرض الذي جبلته بركة الميلاد لم تقتصر الصلة على ظهور الملائكة والأحلام المقدسة والظهورات المقدسة ، بل أيضاً رجعت روح النبوة مرة أخري ، ورجع عمل الروح القدس في الناس وامتلاؤهم منه . نقرأ عن يوحنا المعمدان في بشارة الملاك عنه أنه : " من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس " (لو١ : ١٥) . ونقرأ في بشارة الملاك للعذراء قوله لها : " الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظللك " (لو١ : ٣٥) . ونقرأ في زيارة العذراء للقديسة اليصابات أنه : " لما سمعت اليصابات سلام مريم ، إرتكض الجنين في بطنها ، وإمتلات اليصابات من الروح القدس " (لو١ : ٤١) . ونقرأ عن زكريا الكاهن ــ بعد إنقضاء فترة صمته ــ " وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً ... " (١ : ٦٧) . ونقرأ أيضاً عن سمعان الشيخ أنه كان رجلاً باراً : " والروح القدس كان عليه وكان قد أوحي إليه بالروح القدس ... " (لو٢ : ٢٥ : ٢٦) .
عجيب جداً هذا العمل الواسع للروح القدس في الناس في تلك الفترة المقدسة . وعجيب هذا الإمتلاء من الروح القدس وهذا الحلول ، وهذا التنبوء أيضاً ... لقد تنبأ زكريا الاهن ، وتنبأت إمراته اليصابات ، وتنبأ سمعان الشيخ ، وتنبأت حنة بنت فنوئيل (لو٢ : ٣٦) . وبدا أن الله

رجع يتكلم في أفواه الأنبياء وكل ذلك كان من بوراد إنتهاء الخصومة بميلاد السيد المسيح ، أو كانت هذه هي تباشير الصلح الذي تم على الصليب .
وكان من تباشير الصلح أيضاً رجوع المعجزات . والمعجزات دليل عمل يد الله مع النـــاس ... كان إنفتاح رحم اليصابات العاقر هو المعجزة الأولي . وكان صمت زكريا الكاهن ثم إنفتاح فمه بعد تسعة أشهر معجزتين أخريين . وكانت معجزة المعجزات هي ولادة السيد المسيح من عذراء . وكان إرتكاض الجنين بإبتهاج في بطن اليصابات تحيه الإله الذي في بطن العذراء هو معجزة أخري . ولا نستطيع أن نحصي المعجزات التي رافقت ميلاد المسيح وطفولته . أما معجزاته في أرض مصر ، فلعل أبرزها هو ما يشير إليه أشعياء النبي قائلاً : " هوذا الـــرب راكـــب علـــى سحابة سريعة وقادم إلى مصر . فترتجف أوثان مصر من وجه ، ويذوب قلب مصر داخلها " (إش١٩ : ١) . وفعلاً سقطت أوثان مصر بدخول الرب إليها ...
كل هذا يدل على أن يد الرب قد بدأت تعمل ، وأن ميلاد السيد المسيح كان مقدمة لصلح السماء مع الأرض ، الصلح الذي قلنا إن أولي تباشيره كان ظهور الملائكة . ويحسن أن نقـــف وقفـــة تأمل بسيطة عند ظهورات الملائكة هذه ...

- أول ملاك ظهر وذكره الإنجيل المقدس ، كان هو الملاك الذي ظهر لزكريا الكاهن . إنهـــا لفته كريمة من الرب يعطى بها كرامة للكهنوت ، فيكون ظهور الملائكة اولاً للكهنة ، بعـــد فترة الإحتجاب الطويلة . ولفته كريمة أخري للكهنوت ، أن يظهر الملاك في مكان مقدس : " واقفاً عن يمين مذبح البخور " وفي لحظة مقدسة عندما كان زكريا البار يكهن للرب ويرفع البخور أمامه (لو١ : ٨ ــ ١٠) ...

جميل من الرب أنه عندما أرسل خدامه السمائيين أولاً إلى بيته المقدس وإلى خدام مذبحة الطاهر . ولا شك أن هذا كله يشعرنا بجمال المذبح الذي وقف الملاك عن يمينه في أول تباشير الصلح . كم بالأكثر جداً مذبح العهد الجديد في قدسيته الفائقة للحد ، حيث ملاك الذبيحة الصاعد إلـــى العلو يحمل إلى الله تضرعنا ...
نعود إلى الملاك الطاهر الذي ظهر لزكريا الكاهن ...
كان ملاكاً يحمل بشارة مفرحة . لقد عاد الرب يفرح وجه الأرض التي حرمت كثيراً من أفراحه في فترة القطعية والخصومة . وهل هناك فرح أعظم من تبشير زوج العاقر بأنها ستلد إبناً : ط لم يقم بين المولودين من النساء من هو أعظم منه " (مت١١ : ١١) ، إبناً سيكون : " عظيمـــاً أمام الرب " (لو١ : ١٥) !! عبارات : " الفرح " تدفقت من فم الملاك ، فقال : " لا تخف يـــا زكريا ، لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك اليصابات ستلد لك إبناً ، وتسميه يوحنا ، ويكون لـــك فرح وإبتهاج ، وكثيرون سيفرحون بولادته " .
وكانت إيحاءه جميلة من الرب في تباشير هذا الصلح ، أن يسمي الطفل " يوحنـــا " ... وكلمـــة يوحنا معناها : " الله حنان "!!
وكأن الله يقصد أنه وإن تركنا زمناً ، إلا أن محبته دائمة إلى الأبد ، " مياة كثيرة لا تستطيع أن تطفئها " (نش٨ : ٧) . وأنه وإن حجب وجهه حيناً ، فإنه لا يحجب قلبه الحنون . فعلي الرغم من فترة القطيعة بين السماء والأرض التي سبقت ميلاد السيد المســـيح ، وعلـــى الـــرغم مـــن الخصومة القائمة ، كان الله ما يزال كما هو ، كله حنان وشفقة ... " الله حنان " أو " الله حنون " . لعل هذا يذكرنا بقول الرب من قبل :
" لأنه كإمراة مهجورة ومخزونة الروح دعاك الرب ، وكزوجة الصـــبا ... لحيظـــة تركتـــك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك . بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة وبإحسان أبدي أرحمك " (إش٥٤ : ٦ ــ ٨) .
إنها نبوءة أشعياء عن مصالحة الرب لشعبه وكنيستة ، قد بدأت تتحقق ... تلك النبوءة العجيبة ، الجميلة في موسيقاها ، التي بدأها الرب بنشيده العذب : " ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد ... " (إش٥٤ : ١) . تري أكاذيب اليصابات : " العاقر التي لم تلد " رمزاً للكنيسة في إفتقاد الرب لها

؟ وهل كان إسم إبنها يوحنا : " الله حنان " رمزاً أيضاً لمصالحة الله لكنيسة ؟ وهل ترنم اليصابات : " العقر التي لم تلد " كان بشيراً يتحقق باقي مواعيد الله إذ يقول لكنيسته في نفس النشيد :

" كما حلفت أن لا تعبر بعد مياة نوح على الأرض ، هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك . فإن الجبال تزول ، والآكام تتزعزع ، أما إحساني فلا يزول عنك ، وعهد سلامي لا يتزعزع ، قال راحمك الرب " .

ط أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية ، هأنذا أبني بالأثمد حجارتك ، وباليواقوت الأزرق أؤسسك . وأجعل شرفاتك ياقوتاً ، وأبوابك حجارة بهرمانية ، وكل تخومك حجارة كريمة . وأجعل كل بنيك تلاميذ الرب ، وسلام بنيك كثيراً " (إش٥٤ : ١١ ــ ١٣) .

هل كان هذا الإصحاح الرابع والخمسون من نبوءة اشعياء موضع تأمل القديسة اليصابات في خلاص الرب القريب ، طوال الستة أشهر التي مرت ما بين بشارة الملاك لزكريا وبشارة الملاك للعذراء ؟! إن هذه الفكرة تملأ قلبي ، وتضغط على عقلي بإلحاح شديد ... ولا شك أن هذه القديسة الشيخة التي كانت تحمل إبناً نذيراً للرب في أحشائها ، كانت تشعر أنه ليس بأمر عادي هذا الذي حدث لها وإذ نتأمل في هذا الفصل من اشعياء ــ الذي ينطبق عليها وعلى الكنيسة ــ يهز كيانها كله هذا " النبي الإنجيلي " إذ يقول : " ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل " (إش٧ : ١٤) .

قلنا إنه من تباشير الصلح بين السماء والأرض كان ظهور الملائكة للبشر . وكان الملاك الأول هو الذي بشر زكريا الكاهن .

- **أما الملاك الثاني ، فكان جبرائيل ، الذي بشر السيدة العذراء .**

نلاحظ أن هذا الملاك كان له مع العذراء أسلوب معين . لقد بدأها بالتحية ، بأسلوب كله توقير وإحترام لها . في بشارة زكريا لم يبدأه الملاك بالتحية ، وإنما قال له " لا تخف يا زكريا فإن طلبتك قد سمعت " . أما في بشارة العذراء فقال لها الملاك :

" السلام لك ايتها الممتلئة نعمة . الرب معك " . وعندئذ ــ بعد هذه المقدمة ــ بدأ الملاك في إعلان رسالته . وحتى هذه الرسالة أدمجها بعبارة مديح أخري فقال : " لا تخافي يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله " ثم بعد ذلك بشرها بالخبر الذي جاء من أجلة : " ها أنت ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع ... " .

إنه اسلوب إحترام عجيب يليق بالتحدث مع والدة الإله الممجدة ، المملكة الجالسة عن يمين الملك .

لم يستطع رئيس الملائكة جبرائيل أن ينسى أنه واقف أمام أقدس إمرأة في الوجود ، وإنه واقف أمام أم سيده ، التي ستكون سماء ثانية لله الكلمة . فخاطبها بأسلوب غير الذي خوطب به الكاهن البار زكريا ...

هنا نلاحظ أنه لم يبدأ فقط صلح بين السمائيين والأرضيين ، بل بدأ تقدير وتوقير من سكان السماء لسكان الأرض في شخص أمنا وسيدتنا العذراء مريم ... فمرحباً بهذا الصلح .

- **أما الظهور الثالث ، فكان ظهور ملاك الرب للرعاة .**

هنا نجد تقدماً ملموساً في العلاقات ، إذ لم يقتصر الأمر على أن " ملاك الرب وقف بهم " بل يقول الكتاب أكثر من هذا : " ومجد الرب ... أضاء حولهم " . وبعد أن بشرهم الملاك " بفرح عظيم " يكون " لجميع الشعب " ، وبولادة " مخلص " ، " ظهر بغتة ــ مع الملاك ــ جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين : " المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة " .

- **وهنا نسمع عبارات الفرح ، والمسرة ، والسلام ، والخلاص ... وبدلاً من ظهور ملاك واحد ، نري جمهوراً من الجند السماوي يسبحون .**

إنها تباشير الصلح العظيم ، المزمع أن يتم على الصليب . ونلاحظ أن هذا الصلح قد بدأه الله لا الناس .

الله يصالح البشرية

أول ما نتذكره في هذا المجال ، هو أن الله يسعى لخلاص الإنسان ، حتى لو كان الإنسان لا يسعى لخلاص نفسه .

نلاحظ هذا منذ البدء : عندما أخطأ آدم وسقط ، لم يسع لخلاص نفسه ، بل نراه ــ على العكس من ذلك ــ قد هرب من الله ، وخاف من الله ، وإختفي ، بل نراه . لم يحدث أنه سعي إلى الله ، طالباً الصفح والمغفرة ، وطالباً النقاوة والطهارة . بل إنه : " لما سمع صوت الرب الإله ماشياً في الجنة ... " اختبأ هو وإمراته من وجه الرب " تك٣ : ٨) . وهكذا أوجد حجاباً وحاجزاً بينه وبين الله . وبدأت الخصومة .

من الذي سعي لخلاص آدم ؟ إنه الله نفسه ، دون أن يطلب آدم منه ذلك.

آدم شغله الخوف عن الخلاص أو حتى عن مجرد التفكير فيه ... وهكذا بحث الله عن آدم ... وأعطاه وعداً بأن نسل المرأة سوف يسحق رأس الحية (تك٣ : ١٥) .

لقد أعتبر الله أن المعركة الدائرة هي بينه وبين الشيطان ، وليست بين الشيطان والإنسان . أعتبر أن قضيتنا هي قضيته هو . وإذا بنسل المرأة الذي يسحق رأس الحية هو الله نفسه الذي أتي في ملء الزمان من نسل المرأة . هو الله إذن الذي دبر قصة الخلاص كلها ، لأنه : يريد أن الجميع يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون " (١تى٢ : ٤) . هو يريد خلاصنا جميعاً ويسعى إليه ، حتى إن كنا نحن ــ في تكاسلنا أو في شهواتنا ــ غافلين عن خلاص أنفسنا ! ...

في قصة الخروف الضال ، نرى أن هذا الخروف الضال لم يسع لخلاص نفسه ، وإنما تائهاً وبعيداً . والراعي الصالح هو الذي جري وراءه .

هو الذي فتش عليه وسعي إليه ، وهو الذي تعب من أجله إلى أن وجده ، وحمله على منكبيه فرحاً ، ورجع به سالماً إلى الحظيرة ...

وفي قصة الدرهم المفقود ، نجد نفس الوضع أيضاً ...

فإن تعطل خلاص الإنسان ، يكون السبب بلا شك راجعاً إلى الإنسان ذاته وليس إلى الله .

وهذا الأمر واضح في تبكيت الرب لأورشليم ، إذ قال لها : " يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا " (مت٢٣ : ٣٧) ... أنا أردت ، وأنتم لم تريدوا ...

مثال أخر هو عروس النشيد . الله هو الذي سعي لخلاصها " طافراً على الجبال ، وقافزاً على التلال " وقال لها : " افتحي لي يا أختي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي ، لأن رأسي قد إمتلأ من الطل وقصصي من ندي الليل " (نش٥ : ٢) . وتكاسلت النفس في الإستجابة ، وتعللت بالأعذار . فماذا كانت النتيجة ... كانت أنها عطلت عمل النعمة فيها بعض الوقت وصاحت في ندم : " حبيبي تحول وعبر " ...

تأكد أنك إن كنت تريد الخلاص من الخطية ، فإن الله يريد ذلك أضعافاً مضاعفة ...

المهم إنك تبدي رغبتك المقدسة هذه . هناك عبارة لطيفة قالها أحد القديسين . قال : [إن الفضيلة تريدنا أن نريدها لا غير] . يكفي أن نريد ، إرادة جادة ، والله يتولي الباقي . بل حتى هذه الإرادة هو يمنحها لنا ، لأجل خلاصنا .
ومن القصص العجيبة عن سعي الله لخلاصنا ، ما يقوله الله ــ في سفر حزقيال النبي ــ للنفس الخاطئة الملوثة : " مررت بك ورأيتك مدوسة بدمك ... وقد كنت عريانة وعارية . فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب . فبسطت ذيلي عليك ... ودخلت معك في عهد ــ يقول السيد الرب ــ فحممتك بالماء ، وغسلت عنك دماءك ، ومسحتك بالزيت ... وجملت جداً جداً ، فصلحت لمملكة " (خر١٦) .
تلك النفس المسكينة ــ لو تركت لذاتها ــ لبقيت على حالها مطروحة وملوثة ، عريانة وعارية . ولكن الله فعل من أجلها الكثير ، وأنقذها مما هي فيه ...
ولكن ليس معني سعي الله لخلاصنا ، أننا نتكل على ذلك ونكسل ! كلا وإلا فإنه يتحول ويعبر كما حدث مع عروس النشيد . إنما يجب أن تتحد إرادتنا بإرادته . وعملنا بعمله . هو ينزل إلى عالمنا ، ونحن نقدم له ولو مزوداً ليستريح فيه ...
إن الله يسعى لخلاصنا ، ويسعى ليصالحنا معه . الصلح يبدأ من جانب الله ... إنه درس لنا حينما تكبر قلوبنا على أخوتنا الصغار ، فلا نسعي لمصالحتهم بحجة أننا الكبار !! ...

الكبير يسعى لمصالحة الصغير

في كل تباشير الصلح التي ذكرناها نرى أن الله هو الساعي لمصالحة البشرية . النور الذي لا يدنى منه ، يسعى لمصالحة التراب والرماد ! ملك الملوك ورب الأرباب يتقدم ليصالح عبيده ... نراه أنه هو الذي أرسل الملائكة للبشر وهو الذي بعث إليهم برسائل في الأحلام . وهو الذي أرجع لهم روح النبوة ، وهو الذي عمل على إعادة العلاقات كما كانت ... بل هو الذي أرسل إليهم إبنه الوحيد ليخلصهم ، من فرط محبته لهم .
وكما قال القديس يعقوب السروجي : [إنه كانت هناك خصومة بين الله والإنسان . فلما لم يتقدم الإنسان لمصالحة الله نزل الله ليصالح الإنسان] .
ولم يحدث هذا في الميلاد فقط ، وإنما كان هو دأب الله دائماً . نراه وهو الكبير العالي غير المحدود يسعى لمصالحة الإنسان . يقول : " أنا واقف على الباب وأقرع . من يفتح لي أدخل وأتعشى معه " (رؤ٣ : ٢٩) . ونحن نتساءل في عجب : كيف يارب تقف على الباب وتقرع . البشر هم الذين أذهب إليهم . أنا لست أبحث عن كرامة لي ، وإنما أبحث عن خلاصهم هم ، ولا أستريح حتى أطمئن على خلاصهم .
حقاً ، ما أعجب قلب الله المحب ، وما أعجب تواضعه ...
الله يرسل الأنبياء والرسل لكي يصالحوه مع البشر . يعترف القديس بولس الرسول بهذا فيقول : " نسعي كسفراء عن المسيح ، كأن الله يعظ بنا ، نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله " (٢كو٥ : ٢٠) .
حقاً : هل كان هناك عمل آخر للأنبياء سوى عقد صلح بين الله والناس . والله هو الذي طلب الصلح فأرسل أنبياءه ! بل ما أعجب الرب في سعيه للصلح إذ يقول :
" بسطت يدي طول النهار ، إلى شعب معاند ومقاوم " (رو١٠ : ٢١) . مازال الرب باسطاً يده ، يطلب صلحاً معنا ويقول : " هلم نتحاجج " (إش١ : ١٨) .
الله هو الذي صالح يونان النبي لما إغتم وإغتاظ ، مع أنه غضبه لم يكن حسب مشيئة الرب . أعد له يقطينه : " فارتفعت فوق يونان لتكون ظلاً على رأسه ، لكي يخلصه من غمه " وظل يجاذبه الحديث قائلاً له : " هل اغتظت بالصواب ؟ " ويونان يجيب : " اغتظت بالصواب حتى الموت " لم يزل به حتى أقنعه وصالحه (يون٤) .

والسامرة التي أغلتق أبوابها في وجهه ، لأن وجهه كان متجماً نحو أورشليم ، لم يتضايق من تصرفها هذا ، ولم ينزل ناراً من السماء ليحرقها كما لإقترح التلمذان ، بل ذهب إليها ليصالحه ، وهي المخطئة . وبذل من حبه حتى أصلحها وصارت له (يو٤) .
وفي قصة الابن الضال ، نرى أن الإبن الكبير لما غضب ورفض أن يدخل ، ورفض أن يشترك في الفرح برجوع أخيه ، مع أن غضبه لم يكن مقدساً ، ومع أن إرادته كانت ضد إرادة الآب ، إلا أن الآب ذهب إليه ليصالحه . وفي ذلك يقول الكتاب :
" فخرج أبوه يتول إليه " (لو١٥ : ٢٨) . مع أن كلام هذا الإبن كان قاسياً في حديثه مع أبيه ، وكانت إتهاماته كثيرة وظالمة ، إلا أن الأب إحتمله ، وأطال أناته على حتى صالحة . ولم يقل له كيف وأنت صغير تكلمني هكذا !
ولما أخطأ القديس بطرس وأنكر السيد المسيح ، لم ينتظر الرب حتى يأتي القديس بطرس تائباً ومعتذراً ، بل هو الذي بداه بالكلام ، وسهل الأمر عليه ، وأرجع العلاقات كما كانت ، بنفس الدالة ...
إن الرب لا يرى في سعيه للصلح إنقاصاً لقدرة أو إضاعة لكرامته ، بل على العكس إنه يبرهن على محبه وعلى وتواضعه فيزداد حب الناس له .
وإن كان الله بميلاده قد جاء ليصالحنا ، فإذهب أنت يا أخي وصالح غيرك . لا تقل كيف أذهب أنا ؟ هم الذين يأتون . كلا ، فإن الذي يقوم بالصلح ، هو الذي ينال بركته ... ولا تقل كيف أصالح ابني ، أو أخي الأصغر ، أو خادمي ، أو مرؤوسى ، وأنا الكبير ؟! إعرف أن الكبير هو الكبير في قلبه وفي حبه ، في فضائله وفي احتماله . والله لا يقيس الناس بمقياس السن أو المركز ، بل بنقاوة القلب .
ومهما كنت كبيراً ، فلن تكون مطلقاً في درجة الله الذي سعي لمصالحة عبيده ومخلوقاته !
وحاذر من أن تطلب إحتراماً يليق بك ، حتى لو كان يليق بك المجد والكرامة !! بل أطلب محبة الناس وبركتهم . وفي ذكري الميلاد تذكر تواضع الرب الذي نزل من سمائه إلينا ، فكيف لا نتنازل بعضنا للبعض ...
وفي مصالحة الناس ، لا تفكر في خطية غيرك ــ كبيراً كان أم صغيراً ــ وإنما فكر في نقاوة قلبك ، وضع أمامك تواضع الرب في مصالحته للبشر .

لماذا
حل الرب بيننا ؟

- الفداء حل السيد المسيح بيننا ؟
- الفداء هو السبب الأساسي للتجسد .
- اتى المسيح لينوب عن البشرية .
- درس عجيب في التواضع .
- أسباب أخري .

لماذا حل السيد المسيح بيننا ؟

ونحن نحتفل بميلاد السيد المسيح من العذراء ، لعلنا نتساءل فيما بيننا : ما هي الأسباب التي دعت رب المجد أن يتخذ جسداً ويحل بيننا ، ويصير في الهيئة كإنسان ، ويولد من إمراة كبني البشر ؟

لا شك أن الفداء هو السبب الأساسي للتجسد . جاء الرب إلى العالم ليخلص الخطاة ، جاء ليفديهم ، جاء ليموت وليبذل نفسه عن كثيرين . هذا هو السبب الرئيسي الذي لو إكتفى السيد المسيح به ولم يعمل غيره ، لكان كافياً لتبرير تجسده . جاء السيد المسيح ليوفي العدل الإلهي ، وليصالح السماء والأرض .

ويمكننا أن نقول أيضاً ــ إلى جوار عمل الفداء والمصالحة ــ إن السيد المسيح قد جاء لينوب عن البشرية . وكما ناب عنها في الموت ، ينوب عنها أيضاً في كل ما هو مطلوب منها أن تعمله . إن الإنسان قد قصر في كل علاقاته مع الله ، فجاء " إبن الإنسان " لينوب عن الإنسان كله في إرضاء الله .

وفي فترة تجسده أمكن للرب أن يقدم للبشرية الصورة المثالية لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان كصورة الله ومثاله . قدم القدوة ، والمثال العملي . حتى أن القديس أثناسيوس الرسولي قال إنه لما فسدت هذه الصورة التي خلق الله بها الإنسان ، نزل الله ليقدم لهم الصورة الإلهية الأصلية ...

وأيضاً لما أخطأ الناس في تفسير الشريعة الإلهية وقدموها للناس حسب مفهومهم الخاطئ ، ومزجوا بها تعاليمهم الخاصة وتقاليدهم ، جاء الرب ليقدم للبشرية الشريعة الإلهية كما أرادها الرب ، نقية من الأخطاء البشرية في الفهم والتفسير ...

وسنحاول الآن أن نتناول هذه الأسباب جميعها ، نتحدث عنها بمزيد من التفصيل ، ونري ما يمكن أن نستفيده من دروس روحية لحياتنا خلال هذا الشرح .

١ . الفداء هو السبب الأساسي للتجسد :

لقد أخطأ الإنسان الأول ، وكانت خطيته ضد الله نفسه : فهو قد عصي الله وخالف وصيته . وهو أيضاً أراد أن يكبر وأن يصير مثل الله عارفاً الخير والشر (تك٣ : ٥) . وفي غمرة هذا الإغراء نري أن الإنسان لم يصدق الذي قال له عن شجرة معرفة الخير والشر : " يوم تأكل منها موتاً تموت " (تك٢ : ١٧) . وعلى العكس من هذا صدق الحية التي قال : " لن تموتا " . وبعد الأكل من الشجرة نري أن الإنسان قد بدأ يفقد إيمانه في وجود الله في كل مكان وقدرته على رؤية كل مخفي ، وظن أنه إن إختبأ وسط الشجر يستطيع أن يهرب من رؤية الله له . وفي محاسبة الله للإنسان بعد الخطية ، نري أن الإنسان يتكلم بأسلوب لا يليق ، إذ يحمل الله جزاءاً من مسئولية خطيته فيقول له : " المرأة التي جعلتها معى هي أعطتني " (تك٣ : ١٢) .

إنها مجموعة أخطاء موجهة ضد الله : عصيان الله ، ومنافسة الله في معرفته ، وعدم تصديق الله في مواعيده ، وعدم الإيمان بقدرة الله ، وعدم التأدب في الحديث مع الله .

أخطأ الإنسان ضد الله ، والله غير محدود ، لذلك صارت خطيته غير محدودة . والخطية غير المحدودة ، عقوبتها غير محدودة . وإن قدمت عنها كفارة ، ينبغي أن تكون كفارة غير محدودة ، ولا يوجد غير محدود إلا الله . لذلك كان ينبغي أن يقوم الله نفسه بعمل الكفارة ...

هذا هو ملخص المشكلة كلها في إيجاز ...

لقد أخطأ الإنسان ، وأجرة الخطية هي الموت (رو٦ : ٢٣) . وكان لابد أن يموت الإنسان ، وبخاصة لأن الله كان قد أنذره بهذا الموت من قبل أن يتعدي الوصية ، إذ قال له : " وأما شجرة

معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت " . وهكذا استحق حكم الموت ، وكان لابد أن يموت .
كان موت الإنسان هو الوفاء الوحيد لعدل الله . وإن لم يمت الإنسان ، لا يكون الله عادلا ، ولا يكون الله صادقاً في إنذاره السابق ...
هذه النظرة يشرحها القديس أثناسيوس الرسولي باستفاضة في كتابه " تجسد الكلمة " . وإذ يشرح لزوم موت الإنسان ، يشرح من الناحية المضادة المشاكل التي تقف ضد موت الإنسان . فماذا كانت تلك المشاكل ؟
كان موت الإنسان ضد رحمة الله ، وبخاصة لأن الإنسان قد سقط ضحية الشيطان الذي كان أكثر منه حيلة ومكراً !! (تك٣) .
وكان موت الإنسان ضد كرامة الله ، إذ أنه خلق على صورة الله ومثالة ، فكيف تتمزق صورة الله هكذا ؟!
وكان موت الإنسان ضد قوة الله ، كأن الله خلق خليقة ولم يستطع أن يحميها من شر الشيطان ! وهكذا يكون الشيطان قد إنتصر في المعركة !!
وكان موت الإنسان ضد حكمة الله في خلقه للبشر . وكما يقول القديس أثناسيوس الرسولي إنه كان خيراً للإنسان لو لم يخلق ، ن أن يخلق ليلقي هذا المصير !! وأخيراً كان موت الإنسان ضد ذكاء الله . إذ كيف توجد المشكلة ولا يستطيع عقل الله أن يوجد لها حلاً !!
إذن كان موت الإنسان ضد رحمة الله ، وضد كرامة الله ، وضد قوة الله ، وضد حكمته وذكائه . وكان لابد لحكمة الله أن تتدخل لحل هذا الإشكال ...
وهكذا تدخل أقنوم الإبن لحل الإشكال . والإبن كما يقول القديس بولس الرسول هو : " حكمة الله وقوة الله " (١كو١ : ٢٤) ، ويسميه سفر الأمثال : " الحكمة " (أم٩ : ١) .
والآن نسأل : كيف أمكن لحكمة الله حل هذا الإشكال ؟ كان الحل هو الكفارة والفداء ، لابد أن يموت أحد عن الإنسان ، فيفديه ، لإنقاذه . ولم يكن يصلح لهذا الفداء أي كائن آخر ، غير الإنسان ذاته ، لا ملاك ، ولا حيوان ، ولا روح ، ولا أية خليقة أخري ... فلماذا ؟

كان لا يمكن لمخلوق أن يموت عن الإنسان لسببين :

أولاً ــ لأن كل مخلوق محدود ، لا يمكن أن يقدم كفارة غير محدودة ، توفي العقوبة غير المحدودة ، للخطية غير المحدودة .
ثانيا ــ لأن الحكم صدر ضد الإنسان ، فيجيب أن يموت الإنسان .
وكان الحل الوحيد هو التجسد : أن ينزل الله إلى عالمنا مولوداً من إمرأة ، فهو من حيث لاهوته غير محدود كإله ، يمكنه أن يقدم كفارة غير محدودة ، تكفي لمغفرة جميع الخطايا لجميع الناس ، في جميع الأجيال . وهو من حيث ناسوته ، يمكنه أن ينوب عن الإنسان المحكوم علية في دفع ثمن الخطية . من أجل هذا السبب كان السيد المسيح يتعمد أن يسمي نفسه : " إبن الإنسان " في كثير من المجالات ...
هذا إذن هو السبب الأساسي لولادة السيد المسيح مع العذراء . جاء ليحمل خطيتنا ، ويموت عنها ، لينقذنا من عقوبتها ...
إن عرفنا هذه الحقيقة ، فما هي الدروس الروحية التي يمكن أن نتعلمها منها في حياتنا ؟ هذا ما نود الآن أن نتأمل فيه .

تأمل ...

تأمل أيها الأخ المبارك في أن كل خطية ترتكبها هي موجهة ضد الله ذاته ، ولا تختلف في دينونتها عن خطية آدم وحواء .

هي مثل خطيئتهما غير محدودة ، لأنها موجهة ضد الله غير المحدود . وهكذا فإن عقوبتها غير محدودة ، ولا تغفر إلا بكفارة غير محدودة ...
كل خطية ترتكبها هي عصيان لله . هي نوع من التحدي لله وعدم المبالآة بوصاياه ، بل هي ثورة عليه وإنضمام لخصمه الشيطان ... وهكذا فكل خطية ترتكبها تحمل معني عدم محبة لله ، لأنه يقول : من يحبني وصاياي (يو١٤ : ١٥) .
لذلك عندما أخطأ داود وزني وقتل ، لم يقل أخطأت ضد أوريا الحثي وزوجته ، بل قال لله : " لك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت " (مز٥٠ : ٤) ...
حقاً إن الخطية خاطئة جداً كما يقول الكتاب (رو٧ : ١٣) .
وكل خطية ترتكبها يحملها المسيح ، لأنه هو : " حمل الله الذي يرفع خطية العالم كله " (يو١ : ٢٩) " كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقة . والرب قد وضع عليه إثم جميعنا " (إش٥٣ : ٦) .
إنك يا أخي ربما تستسهل الخطية ، وتستسهل غفرانها ، وتظن أنه بمجرد الإعتراف بها تنتهي . ولا يتناول تفكيرك كيف تغفر هذه الخطية بالاعتراف لذلك تجد الأمر سهلاً ولا تشعر بفداحة ما تفعله ...!!خطيتك أيها لا تغفر إلا بدم المسيح ، لأنه : " بدون سفك دم ، لا تحدث مغفرة " (عب٩ : ٢٢) . فما هو موقف الكاهن من الغفران إذن ؟ هل مجرد قراءة التحليل أو عبارة : " الله يحاللك " هي كل شئ ؟! كلا بلا شك . فمجرد هذه الكلمة وحدها لا تكفي ...
عندما يعطيك الكاهن المغفرة ، إنما يقوم بعملية تحويل . يحول الخطية من حسابك إلى حساب السيد المسيح . ينقل الخطية من على رأسك إلى رأس الحمل الذي يحمل خطايا العالم كله . وحينئذ يمحوها السيد المسيح بدمه .
بل أتجرأ وأقول إن السيد المسيح نفسه عندما كان يقول لإنسان : " مغفرة لك خطاياك " لم تكن هذه العبارة وحدها تكفي بدون دم الرب . إنما قول السيد الرب لإنسان : " مغفورة لك خطاياك " معناها : " إنني قبلت أن أموت عن هذه الخطايا ، وقبلت أن أمحوها بدمي . لذلك أعتبرها مغفورة ، لأنها مغموسة في دمي " . لأنه لو كانت مجرد عبارة المغفرة تكفي لماذا إذن كان التجسد ، ولماذا إذن كان الصلب والفداء ؟
بسبب خطيتك أيها الخ ، أخلي الرب ذاته ، وأخذ شكل العبد ، وولد كإنسان ، وأحتمل كل ضعف البشرية .
من أجل خطيتك صار طفلاً ، ومن أجلها هرب من هيرودس إلى مصر ، ومن أجلها جرب من الشيطان ، ومن أجلها إضطهده اليهود وأهين وشتم وبصق عليه وضرب وصلب ومات . إن عرفت كل هذا ، فكيف تحتمل مشاعرك أن تخطئ ؟!
يجب أن تعلم جيداً أن كل خطية لابد أن تقف أمام عدل الله ، لكي تعطي حساباً أمامه " ومخيف هو الوقوع في يدي الله الحي " (عب١٠ : ٣١) .
لذلك في يوم ميلاد المسيح ، تأمل في محبته لك ، وفي سعيه لخلاصك وكيف أنه من أجلك جاء حقاً لقد جاء المسيح ليخلص العالم (يو٣ : ١٧) . جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك ... فهل كان هذا هو كل شئ ؟ كلا ، فإننا نلاحظ شيئاً آخر وهو أنه قد جاء لينوب عن البشرية .

٣ . أتي المسيح لينوب عن البشرية :

إنه ناب عنا في دفع ثمن الخطية ، في الموت ، فمات عنا . ولكن هذا لم يكن هو الشيء الوحيد الذي ناب عنا فيه . بل أنه ناب عنا في كل عمل صالح ، في تكميل الناموس كله ... فاختتن وهو غير محتاج إلى الختان ، وصام وهو غير محتاج إلى الصوم ، وإعتمد وهو غير محتاج إلى عماد ، وهكذا داوليك .
ولعل نيابة الرب عن الإنسان هي التي جعلته يسمي نفسه في أحيان كثيرة " إبن الإنسان " ، مشيراً إلى أنه جاء نائباً عن الإنسان أو نائباً عن البشرية فهو ليس إبن فلان من

الناس ، وإنما هو إبن الإنسان عموماً . وقد ناب عن الإنسان في موته وفي حياته وفي كل ما كان مطلوباً منه ...

- **ولنبدأ أولاً بموضوع العماد ، كمثال ...**

ذهب السيد المسيح إلى يوحنا ليعتمد منه . ولكنه بلا شك لم يكن محتاجاً مطلقاً إلى العماد . معمودية يوحنا كانت للتوبة ، والتوبة عمل يقوم به الخطاة وليس الأبرار . ويسوع المسيح القدوس البار ، الذي هو وحده بلا خطية ، **لم يكن محتاجاً إلى التوبة ، وبالتالي لم يكن محتاجاً إلى معمودية يوحنا .**

كان يوحنا صوتاً صارخاً في البرية ينادي : " توبوا لأنه قد أقترب ملكوت السموات " (مت٣ : ٢) . " إصنعوا ثماراً تليق بالتوبة " " كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقي في النار " . وهذا الصوت لم يكن بأي حال موجهاً إلى السيد المسيح ، الذي إعترف له يوحنا قائلاً : " أنا محتاج إلى أن أعتمد منك " (مت٣ : ١٤) . ويوحنا كان يأتي إليه ليعتمدوا " معترفين بخطاياهم " (مت٣ : ٦) والسيد المسيح لمتكن له خطية يعترف بها ...

فمادام لم يكن محتاجاً إلى التوبة ، ولا إلى المعمودية ، فلماذا ذهب إلى يوحنا ؟ ولماذا إعتمد ؟

لقد فعل ذلك " ليكمل كل بر " ، لينوب عنا في إطاعة الناموس . إن البشرية فشلت في إرضاء الله الآب ، فجاء الإبن يرضيه .يريه : " إبن الإنسان ط وقد وقف كاملاً أمامه ... فناب عنا في تقديم هذه التوبة ... كما سينوب عنا في آخر الزمان في تقديم خضوع البشرية للآب . وهكذا يقول الرسول : " ومتي أخضع له الكل ، حينئذ الإبن أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل " (١كو١٥ : ٢٨) .

إن الخطية كانت لها نتيجتان : هلاك الإنسان ، واغتصاب قلب الله . وجاء السيد المسيح ليصلح الأمرين معاً :

جاء ليخلص الإنسان الهالك ، إذ ناب عنا في الموت وفي دفع ثمن الخطية . وجاء ليصالح لب الله الغاضب بأن يقدم له ناسوتاً كاملاً يرضيه ، وهكذا ناب عنا في تكميل الناموس وفي كل عمل صالح . قام بالعملين معاً : أرضي قلب الله بحياته الطاهرة ، وأنقذ حياة الإنسان ، بموته الكفارى .

- وكما ناب السيد المسيح عن البشرية في التوبة والعماد وتكميل الناموس ، ناب عنها أيضاً في الصوم . لم يستطيع الإنسان أن يكبح جماح جسده ، فأكل من طعام نهي الله عنه ، فسقط . وجاء السيد المسيح ليصلح هذا الخطأ ، فبدأ خدمته بالصوم حتى عن الطعام المحلل للجميع . نحن نصوم لنروض الجسد ونلجمه ونربيه . أما جسد السيد المسيح فلم يكن جامحاً حتى يكبح جماحة ، فلماذا إذن صام ؟ ونحن نصوم لكي تصفو الروح وتسمو . وروح السيد المسيح في صفائها وسموها ليست في حاجة إلى صوم يوصلها إلى العلو الذي توجد فيه بطبيعتها . إذن لماذا صام ؟ لقد صام عنا ، أربعين يوماً وأربعين ليلة . وفي ذلك الصوم قدم لله الآب ــ نيابة عنا ــ جسداً طاهراً لا يخضع لشهوة طعام ، إستطاع أن يبرهن عملياً على أنه : " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان " (مت٤ : ٤) .

لقد ناب السيد المسيح عنا في تقديمه للآب صورة الإنسان الكامل المطيع لوصاياه ، وفي نفس الوقت قدم للبشرية الصورة الإلهية التي خلقوا على مثالها .

٣ .آتي ليقدم لنا الصورة الإلهية :

لقد خلق الإنسان على صورة الله ومثالة (تك١ : ٢٧) في البر والقداسة والكمال ، ولكنه شوه تلك الصورة الإلهية بخطاياه . لسنا نقول هذا عن مجموعة خاطئة معينة من الناس ، وإنما عن

الكل : " الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، ليس من يعمل صلاحاً ، ليس لا واحد " (مز١٤ : ٣) . وهكذا فقدت الصورة الإلهية من الكون ... لعل تلك الصورة هي التي كان يعينها ديوجين الفيلسوف : [عن أي شئ تبحث] ؟ فأجاب : [أبحث عن إنسان] !! إن الإنسان في وضعه الأصلي ــ كصورة الله ــ لم يكن موجوداً .

فأتي السيد المسيح ليقدم للناس هذه الصورة الإلهية ، بمثال عملي أمامهم يرونه فيحاكونه ... وهكذا قال لهم فيما بعد : " لأني أعطيتكم مثالاً ، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً " (يو١٣ : ١٥) . بهذه الصورة رآه القديس بطرس الرسول : " تاركاً لنا مثالاً ، لكي تتبعوا خطواته " (١بط٢ : ٢١) . وبنفس المعني يقول معلمنا يوحنا الرسول : " من قال إنه ثابت فيه ــ ينبغي أنه كما سلك ذاك يسلك هو أيضاً " (١يو٢ : ٦) ...

قدم لنا صورة للإنسان المنتصر على الشيطان ، ليعالج بها صورة آدم وحواء اللذين إنهزاماً أمام إغراء الحية وإيحائها . وهكذا بدأ خدمته بأن سمح للشيطان أن يجربه ، ليس مرة واحدة كما فعل مع أبوينا الأولين ، وإنما ثلاث مرات (مت٤) أعقبتها فيما بعد تجارب لا تعد . وإذ كانت كلمة الله ووصيته على لسان الإنسان الأول ، ولكنها ليست ثابته في قلبه ، ولا منفذه عملياً في حياته ، كانت وصية الله وكلمته قوية وفعالة في فم السيد المسي ، هزم بها الشيطان فلم يستطع أن يرد عليه .

وفي حياة السيد المسيح قدم لنا صورة الإنسان الكامل ، الذي إستطاع أن يتحدى جميع مقاوميه قائلاً : " من منكم يبكتني على خطية " (يو٨ : ٤٦) . ويقول عنه بولس الرسول إنه : " مجرب في كل شئ مثلنا بلا خطية " (عب٤ : ١٥) . وقال عنه أيضاً إنه : " قدوس بلا شر ولا دنس قد إنفصل عن الخطاة ، وصار أعلى من السموات " (عب٧ : ٢٦) . لذلك عندما بشر الملاك العذراء بميلاده قال لها : " القدوس المولود منك ... " (لو١ : ٣٥) .

هذا القدوس ، إذ لم تكن في حياته خطية يموت بسببها ، مات عن خطايانا نحن وإستحق أن يكون فادي البشرية .

يمكننا أن نتأمل حياته المقدسة ، ونأخذ لأنفسنا درساً من كل عمل ومن كل قول . كانت حياته نوراً يرشدنا إلى ما ينبغي أن نعمله . لذلك يسميه القديس يوحنا ك " النور الحقيقي الذي يضئ لكل إنسان " (يو١ : ٩) . وإذ كانت خطية الإنسان الأولي هي الكبرياء ، لذلك جاء السيد المسيح يلقننا درساً في التواضع .

٤ . درس عجيب في التواضع :

سقط أبوانا الأولان في الكبرياء عندما قبلا إغراء الحية في قولها : " تصيران مثل الله ... " (تك٣ : ٥) ومن قبلهما سقط الشيطان في هذه الخطية ذاتها إذ قال في قلبه : " أصعد إلى السموات .. أصير مثل العلي " (إش١٤ : ١٣ ، ١٤) . فجاء السيد المسيح يرد على هذه السقطة .

الإنسان الترابي أراد أن يرتفع ويصير مثل الله ، فإذا بالله ينزل ليصير شبه الناس !!

الإنسان أراد أن يكبر ذاته ، فعالجة الرب بأن أخلي ذاته . مقاييس العظمة كانت مرتكبة في حياة الإنسان . فأصلحها له الرب . كان يري العظمة في الكبرياء ، فشرح له الرب عملياً كيف أن العظمة في التواضع . ووضع ذلك المبدأ العجيب : " أكبركم يكون خادماً لكم . فمن يرتفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع " (مت٢٣ : ١١ ، ١٢) .

كان الناس يقيسون عظمة الشخص بمقدار انتفاخه وتوقير الناس له .

لذلك كان الكتبة والفريسيون : " يحبون المتكأ الأول في الولائم ، والمجالس في المجامع ، والتحيات في الأسواق ، وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي " (مت٢٣ : ٦ ، ٧) ز فجاء السيد المسيح يعطي مثالاً آخر للعظمة ، العظمة الهادئة المتضعة غير المنتفخة البعيدة عن الكبرياء

ومديح الناس ، عظمة القلب النقي المنتصر على المجد الباطل ، عظمة البساطة والوداعة . ولأول مرة بدأنا نسمع عن جمال الإتضاع ...
قبل السيد المسيح كانوا يرون العظمة ، كعظمة الملوك ، في فخامتهم وحسن منظرهم ، مثل شاول الملك الذي : " من كتفه إلى فوق ، كان أطول من كل الشعب " (١صم٩ : ٢) . كانوا يرون العظمة في المركبات والسيوف واحاطة الشخص نفسه بالجنود ورجال الحاشية والعبيد والخصيان ... !! فأتهاهم السيد المسيح بصورة أخري للعظمة ، عظمة مالك السموات والأرض الذي ليس له أين يسند رأسه ،
عظمة الشخص الذي ليس له مكان إقامة ، وليس له منصب ولا وظيفة في المجتمع ، ومع ذلك يهز المجتمع كله بأصابعه !! ... لقد جاء السيد المسيح بصورة أخري للعظمة لم يرها الناس من قبل ... كانوا يفهمون الكرامة بأن يجلس العظيم فلا يستطيع أحد أن يقترب إليه ، أو أن يمشي في هيبه ووقار لا تقرب منه إمرأة ولا طفل ... لذلك عندما إقترب الأطفال من المسيح ، إنتهرهم التلاميذ !! (لو١٨ : ١٥) . فقال لهم الرب " دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم ، لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله " .. وتعجب التلاميذ ، وكانوا يفكرون في قلوبهم : " ما هذا الذي نراه منك يارب ؟! إنك كبير عن هذا المستوي ، نجلسك على عرش عظيم ، والناس يسجدون لك من بعيد !! لا يستطيع الكبار أن يقتربوا إليك ، فكم بالأولي الأطفال !! " .. وكأن السيد المسيح يجيبهم عن كل هذا : " دعكم من هذه الصورة الخاطئة التي أخذها الناس عن العظمة "
نفس الأمر تكرر في بيت الفريسي عندما أتت إمرأة خاطئة وبللت قدمي المسيح بدموعها ومسحتها بشعر رأسها ، وكانت تقبل قدميه وتدهنهما بالطيب (لو٧ : ٣٨) فتأفف الفريس ، وتذمر في قلبه ... كيف يقبل السيد المسيح أن تلمسه إمرأة خاطئة وتقبل قدميه ... ! ولكن السيد المسيح دافع عن المرأة ، ورآها أعظم من الفريسي ، لأنها أحبت كثيراً ، فغفر لها الكثير ... لم تكن العظمة في نظر السيد المسيح هي الترفع عن الناس والتعالي على الضعفاء ، وإنما محبة الناس والعطف عليهم ...
نفس الانتقاد وجهوده إلى الرب في جلوسه مع الخطاة والعشارين ، كما لو كان في جلوسه معهم أو اشتراكه في موائدهم ، انتقاض من قدرة وكرامته . أما الرب فكان يرى الكرامة كل الكرامة في البحث عن هؤلاء الضالين وإنقاذهم مما هم فيه . وهنا تبدو كرامته كراع ، ومعلم ...
كل هذا يقنعنا بأن السيد المسيح ــ في مجيئه إلينا ــ كانت له إلى جوار الفداء اسباب أخري ، وإن كانت جانبية ...

أسباب أخري لمجيئه :

لقد جاء السيد المسيح لكي يصلح التعليم الفاسد الذي وقع فيه الناس ، ولكي يصحح المفاهيم الخاطئة للشريعة وللناموس وللمبادئ العامة في الحياة ...

ذلك لأن الكتبة والفريسيين وزعماء اليهود وكهنتهم ورؤساءهم كانوا قد شوهوا كل شئ ، وفسروا الدين حسب مزاجهم الخاص ، وأبطلوا وصيه الله بسبب تقاليدهم (مت١٥ : ٦) . ووضعوا على أكتاف الناس أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ، وأغلقوا ملكوت السموات قدام الناس ، فلا هم دخلوا ، ولا جعلوا الداخلين يدخلون (مت٢٣) . من أجل ذلك وبخهم السيد المسيح ، وكشف رياءهم أمام الناس . وقال عن أمثال هؤلاء المعلمين الكذبة : " جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص " (يو١٠ : ٨) . ذلك لأنهم غرسوا في أذهان الناس وقلوبهم تعاليم خاطئة ومفاهيم منحرفة .
لهذا جاء السيد المسيح ليقدم مفاهيم جديدة . جاء يقلب تلك الأوضاع ، ويقيم ثورة ف الحياة الدينية .

أو كما قال للناس جئت لألقي ناراً على الأرض . فماذا أريد لو أضطرمت " (لو ١٢ : ٤٩) . جاء يشعل ثورة ، ما قبلها ثورة ، ولا بعدها ثورة ... ثورة على الفهم الخاطئ للدين ، والفهم الخاطئ للمبادئ . أقام السيد المسيح دولة جديدة من الفكر العالي السامي ،
لا يمكن أن يصل إليه تفكير البوذيين ولا تفكير الكنفوشيوسيين ولا تفكي البراهمة ولا تفكير الفلاسفة جميعاً . جميع فلاسفة العالم إنحنوا في خضوع وفي توقير أمام تعاليم المسيحية . وإذ بالمسيحية قد ارتفعت فوق كل تلك الفلسفات ، وغلبتها جميعاً الفسلفة وغلبت القوانين ، وغلبت الأنظمة الموجودة الجهلة الذين لا فكر لهم ، ولكن لهم فكر المسيح . وإستطاع هؤلاء أن ينشروا تعاليم الرب في كل مكان : " مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح " (٢كو١٠ : ٥) . حقاً لقد قدم السيد المسيح نوراً عجيباً للعالم .
نحن نفتخر ونفرح ونسر . يمتلئ فمنا بركة وتسبيحاً ، لأن السيد المسيح أعطانا تعليماً عظيماً من هذا النوع يسمو على كل تعليم آخر . صدقوني لو كانت المسيحية كلها ، ليست فيها سوي هذه الآية الواحدة التي تقول : " أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعينكم ، إحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم " (مت٥ : ٤٤) . لو كانت المسيحية لا تحمل سوي هذه الآية الواحدة ، لكانت هذه الآية الواحدة تكفي ... هاتوا كل تعليم الفلاسفة لا تجودنه يوازي هذه الآية في سموها وعلوها وعمقها ...
لقد جاء السيد المسيح إلى العالم فبهر العالم بتعليمه ... يقول معلمنا القديس متي بعد تسجيله لعظة السيد المسيح على الجبل : " فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه ، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة " (مت٧ : ٢٨ ، ٢٩) . كان تعليماً لا يدخل إلى الآذان والأذهان فقط ، وإنما يخترق القلب ويستقر فيه ، بسلطان ... ذلك لأن : " كلمة الله حية وفعالة ، وأمضي من كل سيف ذي حدين ... ومميزة أفكار القلب ونياته " (عب٤ : ١٢) . ان يعطي التعليم ويعطي معه نعمة لتنفيذه . وربما عن هذا قال القديس يوحنا الرسول : " لأن الناموس بموسى أعطي . أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صاراً " (يو١ : ١٧) .
لم يكن تعليم السيد المسيح مبهراً للشعب فقط ، وإنما للرؤساء أيضاً ، حتي في طفولته ...
إنه وهو صبي في الثانية عشرة من عمره ، جلس في الهيكل في أورشليم ، في وسط المعلمين ، في وسط الكتبة والكهنة والشيوخ وأعضاء مجلس السنهدريم : " وكل الذين سمعوه ، بهتوا من فهمه وأجوبته " (لو٢ : ٤٧) . ولما بدأ كرازاته ، نسمع عن نيقوديموس أحد رؤساء اليهود وعضو مجلس السنهدريم ، أنه جاء إلى السيد المسيح ليلاً ، يسأل ويتعلم ٠ يو٣ : ١ ، ٢) ...
وفي سلطان السيد المسيح في التعليم ، وفي ثورته التعليمية ، نجده يقول في سلطان : " سمعتم أنه قيل ... وما أنا فأقول لكم ... " (مت٥) . من ذا الذي يستطيع أن يتكلم هكذا عن شريعة الله ؟! ولكنه السيد المسيح ، الذي أنار عقولنا بذلك السمو العجيب في فهم الدين ، وإستطاع أن يحول فكر البشرية وفهمها ...
الناس قبل مجيئه كانوا يفهمون أن القوة هي العنف ، فأعطاهم مثلاً للقوة هو قوة المحبة الباذلة ، التى تبذل ذاتها عن الآخرين ، ومثلاً آخر عن القوة ، هو قوة الروح في الداخل .
والناس كانوا يفهمون الحية بمعني أن يفعل الإنسان ما يشاء . فوضح لهم أن الحرية الحقيقية هي تحرر الإنسان من الخطية وتحرره من عبودية الشهوة ومن سلطان الجسد ، بل تحرره من الذات ...
وفي تعليم السيد المسيح أعطي الناس فكرة جديدة عن الله ذاته . كانوا ينظرون إلى الله كقوة جبارة لا يستطيعون الدنو منها . حتى أنهم عند إعلان الوصايا العشر على الجبل ، كانوا مرتعدين ، " وقالوا لموسي : تكلم أنت معنا فنسمع ، ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت " (خر٢٠ : ١٩) . أما في مجئ السيد المسيح ، فأراهم الله في صورة أخري . وأخذوا فكرة عن الله المحب الشفوق ، الوديع المتواضع ، الذي : " لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته .

قصبه مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنه لا يطفئ " (مت١٢ : ٢٠) . الله الذي يجول بينهم كراع يسعي في طلب الضال . وكطبيب يضمد الجروح ، وكنور يضمد الجروح ، وكنور حقيقي يشرق للضالين وغير العارفين ... هذه هي الصورة الجديدة التي قدمها لهم عن الله فأخبوه : " والمحبة تطرح الخوف إلى خارج " (١يو٤ : ١٨)

لأجل هذا كله فرح العالم بمجئ الرب ...

وقف الملاك يحمل البشري للرعاة قائلاً : " ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب " (لو٢ : ١١) ... أي أن الفرح لم يكن للرعاة فقط ، إنما لجميع الشعب . وليس لليهود فقط ، إنما للعالم كله ..

حقاً إنه فرح عظيم ، رأيناه وضحاً على وجه سمعان الشيخ الذي حل الطفل يسوع على ذراعية ، وبارك الله قائلاً : " الآن يارب تطلق عبدك بسلام لأني عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام جميع الشعوب " (لو٢ : ٢٩) ... إنه فرح بالخلاص المنتظر منذ زمان .

رأينا هذا الفرح على وجه حنة النبيه العابدة القديسة التي " وقفت تسبح الرب ، وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء في أورشليم " (لو٢ : ٢٨) .

وظهر هذا الفرح على وجه اليصابات لما زراتها العذراء ، فامتلأت اليصابات من الروح القدس وقالت للعذراء : " من أين لي هذا ، أن تأتي أم ربي إلى . فهوذا حين صار صوت سلامك في في أذني ، ارتكض الجنين بابتهاج في بطني " (لو١ : ٤١ ــ ٤٤) ... حتى الجنين ابتهج ن لأنه كان نبياً ، ويعرف من هو هذا المسيح الذي أتي ...

ولكن هل فرح الكل وابتهجوا ، أم أن هناك من قد حزن ــ للأسف ــ بسبب مجئ المسيح ؟

هذا ما سوف نحدثك عنه إن شاء الله في المحاضرة المقبلة .

لسقوط وقيام كثيرين

" هذا قد وضع لسقوط وقيام
كثيرين في بني إسرائيل ، ولعلامة
تقاوم " (لو٢ : ٣٤)

كانت نبوءة من سمعان الشيخ عن السيد المسيح إنه : " لسقوط وقيام كثيرين ولعلامة تقاوم " (لو٢ : ٣٤) ... فمتي تحققت هذه النبوءة ؟ وهل كانت عن مناسبة الميلاد فقط ، أم امتدت إلى نهاية هذا الدهر ؟
كون مجئ المسيح لقيام كثرين ، هذا أمر معقول يقبله لكل .

ولكن عجيبة حقاً هي عبارة " لسقوط... كثيرين " فكيف ذلك ؟

سنشرح كيف تمت هذه العبارة ، ولنضرب المثل الأول :
إن كان المجوس قد فرحوا فرحاً عظيماً لما رأوا النجم الذي أرشدهم إلى مكان الرب (مت١ : ١٠) ، فذهبوا وقدموا له هداياهم ... فإنه في نفس الوقت قيل عن هيرودس الملك إنه لما سمع عن ميلاد المسيح " اضطرب وجميع أورشليم معه " (مت٢ : ٣) .

كان ميلاد المسيح سبب فرح للمجوس ، وسبب اضطراب ! أهو ملك حقاً ؟ وهل يوجد ملك غيري ؟! وكيف أتركه يملك ؟! إن هذا مستحيل . لذلك اضطرب وفكر أن يقتل المسيح !
مسكين أنت يا هيرودس ! هل ظننت في جهلك أن السيد المسيح قد جاء لينافسك في ملكك ! حقاً إنه ملك الملوك ، ولكن مملكته ليست من هذا العالم (يو١٨ : ٣٦) . هل أنت خائف منه لئلا يهو عرشك ويسلبك تاجك ؟ اطمئن . إن لعبة التيجان تليق بالصغار أمثالك يتلهون بها . أما

السيد المسيح فهو اسمي من التيجان واسمي من العروش .

السماء هي عرشه . والأرض بما فيها عرشك ــ هي موطئ قدميه (مت٥ : ٣٤) .
لقد جاء السيد المسيح من أجلك أيضاً ، ليحررك : يحررك من عبودية الذات ، ومن عبودية الشهوات، ويحررك من إغراء التيجان والعروش . يجعل نفسك طليقة تعلو في السماء كالنسور . تعلو مستوي التيجان والعروش والنياشين .

لو كان هيرودس يفكر في خلاص نفسه ، لفرح بمجئ المسيح .

وكان يمكنه أن يفرح أيضاً ، لو كان يهمه خلاص العالم ، أو على الأقل كان يفرح لأن النبوءات تحققت في عهده . ولكنه كان أحد الذين سقطوا لأنه تمركز حول ذاته لذلك فكر أن يقتل المسيح أراد أن يقتل من بيده مفاتيح الحياة والموت ، الذي حياة هيرودس معلقة بمشيئته . ولإرادة هيرودس لم تكن عن جهل ، بل عن معرفة ، بعد أن سأل الكهنة والكتبة وسمع النبوءة . وفي غضبه تحدى الله .
فهل أنت يأخى كهيرودس ــ تخاف أن يكون المسيح ملكاً ؟
فترفض أن يملك عليك ، لئلا يحطم اصناماً داخل ذاتك . وتري أن ملك المسيح هو صليب سوف تحمله ، يقف ضد رغباتك الخاطئة .
هل تخاف أن حريتك بدخول المسيح في حياتك . وتقول خير لي أن المسيح لا يوجد ، لكي أوجد أنا [حسب منطق الوجوديين] ؟!
كان المسيح لقيام كثيرين كيوحنا المعمدان الذي قال : " ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أنقص " (يو٣ : ٣٠) . وكان لسقوط كثيرين مثل هيرودس الذي انطبقت عليه عبارة : " من وجد نفسه يضيعها " (مت١٠ : ٣٩) .
كثيرون لا يفرحون بمجيء المسيح لأنهم غير مستعدين للقائه .
لو عرفوا أن المسيح قد جاء يخافون أن يكشفهم ، أو يضبطهم في خطية ، أو يحرمهم من مشغوليات تبهجهم ، وهم غير متفرغين له !
كذلك في المجيء الثاني سيكون المسيح لسقوط وقيام كثيرين !
سيفرح المؤمنين الحقيقيون بمجيء الرب ، إذ يأخذهم معه على السحاب في المجد ، ويكونون مع الرب كل حين . بينا آخرون " يقولون للجبال غطينا ، وللتلال اسقطي علينا " (رؤ٦ : ١٦)

لأنه " مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي " (عب١٠ : ٣١) . إنها ساعة يتقرر فيها المصير ، مثل عبور البحر الأحمر ، كان سبب خلاص أولاد الله ، وسبب هلاك فرعون وجنوده .
من الذين سقطوا بمجيء المسيح ؟ لاشك أولهم الشيطان .
قال الرب عنه : " أبصرت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء " (لو١٠ : ١٨) . نعم إن كل ما فعله الشيطان ــ وما سيفعله ــ ضيعه الرب كله حينما قال على الصليب قد أكمل ... فصار تعب الشيطان باطلاً بالنسبة إلى المفديين . وختم الرب على هذا السقوط بقوله : " رئيس هذا العالم قد دين " (يو١٦ : ١١) . وعبارة سقوط كثيرين لا تعني الشيطان فقط بل كل جنده أيضاً ، إذ قد طرح الذي كان يضل العالم " وطرحت معه ملائكته " (رؤ١٢ : ٧ ــ ٩) .

من الأعداء الكثيرين الذين يسقطون : الإنسان العتيق .

إن الرب بتجسده وفدائه ، منح نعمة للمؤمنين ينالونها في المعمودية ، إذ يسقط الإنسان العتيق ، يموت ويدفن (رو٦) .؟ ويقوم إنسان آخر في " جدة الحياة " قد لبس المسيح (غل٣ : ٢٧) . حقاً في المعمودية سقوط وقيام كثرين .

ومن الأمثلة الجميلة للسقوط القيام ، شاول وبولس :

سقط شاول الطرسوسي الذي كان يضطهد الكنيسة ، يجر رجالاً ونساء إلى السجن ، وقام مكانه بولس الرسول الذي تعب في الكرازة أكثر من الجميع وصنع معجزات ، وأسس الكنائس ، وأرسل الرسائل ، ونال إكليل الشهادة .

وسقط كهنة اليهود ، ليقوم كهنة على طقس ملكي صادق .

قال السيد المسيح في تغيير هؤلاء الوكلاء : " إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطي لأمه تصنع ثماره " (مت٢١ : ٤٣) . وبالمثل فعل مع الناموسيين والصدوقيين ، وشهد العالم سقوط وقيام كثيرين . وقام كهنوت على طقس ملكي صادق .

سقط المعلمون الكذبة وفي مقدمتهم الكتبة والفريسيون والشيوخ .

سقطت هيبتهم في أعين الناس ، وسقط تعليمهم ، وسقطت كبرياؤهم وافحمهم السيد المسيح في كل مناقشة ، وأثبت للكل فساد ما يفعلون به . ورأي الناس أنه قد قام معلم عظيم " بهتوا من تعليمه " يعلمهم بسلطان وليس كالكتبة . وأخيراً تحطم الكتبة والفريسيون بقول السيد لهم في (مت٢٣) : " ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون " ... حيث شرح في تفصيل شديد كل أخطائهم وانتهوا من تاريخ اليهود ، ليقوم مكانها معلمون آخرون اختارهم الرب .

وفي سقوط كثرين نذكر أيضاً الوثنية بكل رجالها

كل فلسفاتها قد سقطوا ، سواء مدرسة الإسكندرية الوثنية التي سقطت بقيام مدرسة الإسكندرية اللاهوتية التي أقامها مارمرقس . أو مثلما حدث في قصة أسطفانوس الشماس الأول الذي قيل عنه إنه وقفت ضده مجامع الليبرتينيين ، والقيروانيين ، والإسكندريين ، مع الذين من كيليكيا وآسيا " ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به " (أع٦ : ٩ ، ١٠) .

وقامت المسيحية منتصرة في صراعها مع الأديان الأخري .

قال السيد المسيح : " ما جئت لألقي سلاماً على الأرض بل سيفاً " أي الصراع الذي يقوم بين الإيمان وكل معارضية . أما الذي سقط في هذا الصراع فهو الأديان الأخري كلها : الأديان الرومانية بزعامة جوبتر ، والأديان اليونانية بزعامة زيوس ، والأديان المصرية بزعامة رع ، وأديان أخري كثيرة في الشرق ، مع عبادات الأرواح والنار والأجداد ... وسقطت الوثنية وكل فلسفتها وكل حكمتها .وشهد العالم فترة من الكرازة ومن الاستشهاد ، ظهر فيها سقوط وقيام كثيرين ..

وتحقق قول الرسول : " اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء . واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء . واختار الله أدنياء العالم والمزدري وغير الموجود ليبطل الموجود " (١كو ١ : ٢٧ ، ٢٨) .
وإذا بالصبا الأمي يقف أمام اساطين مجمع السنهدريم ، ليقول لهم في شجاعة " ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس " . ويقف السيد المسيح ليقول : " أحمدك أيها الآب لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء ، وأعلنتها للأطفال " (مت١١ : ٢٥) وشهد التاريخ في إنتشار المسيحية سقوط وقيام كثيرين .

لذلك كان المتواضعين في مقدمة الذين قاموا .

لقد تحققت تسبحة العذراء التي قالت فيها : " انزل الأعزاء عن الكراسي ، ورفع المتواضعين " (لو ١ : ٥٢) . هنا انزال ورفع : سقوط وقيام ...
هذه العذراء المسكينة اليتيمة التي سلموها لنجار يرعاها ، أصبحت جميع الأجيال تطوبها . ومزود البقر مزاراً للعالم كله ، مكاناً مقدساً ، تنحني أمامه رؤوس الأباطرة والملوك تطلب بركة ترابه . والصيادون الفقراء صاروا قادة العالم وكهنته ورعاته ومعلميه .
" الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً " (٢كو٥ : ١٧) .

ومن الكثرين الذين سقطوا ، مفاهيم كثيرة ...

مفاهيم الناس السابقة عن العظمة والقوة والحرية وما أشبه ، تغيرت إلى العكس سقطت وأقام السيد مكانها مفاهيم جديدة . فلم يعد القوي هو الذي يضرب غيره على الخد والخد الآخر . إنما القوي هو الذي يحتمل ، كما قال الرسول : " يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء " (رو١٥ : ١) .
و العظمة صارت في الاتضاع وليس في الكبرياء . ووضع الرب هذه المبادئ الجملية " من رفع نفسه يتضع . ومن وضع نفسه يرتفع " " من وجد نفسه يضيعها . ومن أضاع نفسه من أجلي يجدها " .

إننا على أبوابها عام جديد . ونريد أن تنطبق علينا عبارة " قيام كثيرين " .

فيقيمنا الرب بنعمته وبروحه القدوس ، وبعمله الدائم فينا . يقيمنا عن يمينه ويقول لنا : " تعالوا يا مباركي أبي ، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم " (مت٢٥ : ٣٤) .
إنه أقام كثيرين لا نستطيع أن نحصي عددهم ، ربوات ربوات وألوف ، اولئك الذين ينشدون للرب أغنية جديدة في ملكوته . فلنكن من هؤلاء .

بقي أن نقول إن السقوط والقيام على الأرض هو بصفة مؤقتة يمكن أن تتغير بعد حين ، لتعد لسقوط أو قيام أبديين . وليت الجمع يهتمون بأبيتهم من الآن .
وليتنا نتناول باستحقاق في بداية هذا العام ولنعرف :

إن التناول هو أيضاً وسقوط كثيرين

قيامهم في حالة الاستحقاق ، إذ يثبتون في الرب (يو٦ : ٥٦)
السقوط في حالة عدم الاستحقاق ، إذ يتناولون دينونة لأنفسهم (١كو١١ : ٢٩) .

يطلب ويخلص
ما قد هلك

" لأن إبن الإنسان قد جاء لكي
يطلب ويخلص ما قد هلك "
(لو١٩ : ١٠)

عن محاضرة ألقيت في الكاتدرائية الكبري مساء الجمعة ٣/ ١٢ ١٩٧٦

لماذا جاء السيد المسيح إلى عالمنا ؟ يوضحه الإنجيلي بقوله إنه جاء يطلب ويخلص ما قد هلك (لو١٩ : ١٠) أي الخطاة الهالكين .

ولماذا جاء يخلصهم ؟ السبب أنه أحبهم ... على الرغم من خطاياهم !

وفي هذا يقول الكتاب : " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " (يو٣ : ١٦) إذن هو حب أدي إلى البذل ، بالفداء . قصة

قصة ميلاد المسيح إذن ، هي فرِ جوهرها ، قصة حب .

أحب الله العالم ، العالم الخاطئ ، المقهور من الشيطان ، المغلوب من الخطية ... العالم الضعيف العاجز عن إنقاذ نفسه ! أحب هذا العالم الذي لا يفكر في حب نفسه حباً حقيقياً ، ولا يسعى إلى خلاص نفسه ... بل العالم الذي في خطيته انقلبت أمامه جميع المفاهيم والموازين ، فأصبح عالماً ضائعاً . والعجيب أن الله لم يأت ليدين هذا العالم الخاطئ ، بل ليخلصه ، فقال : "

ما جئت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم " (يو١٢ : ٤٧) .

لنا يأت ليوقع علينا الدينونة ، بل ليحمل عنا الدينونة . من حبه لنا وجدنا واقعين تحت حكم الموت ، فجاء يموت عنا .

ومن أجل حبه لنا ، أخلي ذاته ، وأخذ شكل العبد ، وصار إنساناً .

كانت محبة الله لنا مملوءة اتضاعاً ، في ميلاده ، وفي صلبه .

في هذا الاتضاع قبل أن يولد في مذود بقر ، وأن يهرب من هيرودس ، كما في إتضاعه أطاع حتى الموت ، موت الصليب ، وقبل كل الآلام والإهانات لكي يخلص هذا الإنسان الذي هلك .

رأي الرب كم فعلت الخطية بالإنسان ! فتحنن عليه ...

كان الإنسان ــ الذي خلق على صورة الله ومثالة ــ قد انحدر في سقوطه إلى أسفل ، وعرف من الخطايا ما لا يحصي عدده ، حتى وصل إلى عبادة الأصنام " وقال ليس إله " ... " الجميع زاغوا وفسدوا معاً " (مز١٤ : ١ ــ ٣) ... ووصلت الخطية حتى إلى المواضع المقدسة !

الإنسان وقف من الله موقف عداء . ورد اله على العداء بالحب !

فجاء في محبته " يطلب ويخلص ما قد هلك " . وطبعاً الهالك هو الإنسان الذي عصي الله وتحداه ، وكسر وصاياه ، وبعد عن محبته ، " وحفر لنفسه آباراً مشققة لا تضبط ماء " (أر٢ : ١٣) . ولكن الله ــ كما اختبره داود النبي " لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا . وإنما ... كبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عن معاصينا " (مز١٠٣ : ١٠ ــ ١٢) . ولماذا فعل هكذا ؟ يقول المرتل : " لأنه يعرف جبلتنا . يذكر أننا تراب نحن " (مز١٠٣ : ١٤) .

حقاً إن الله نفذ (محبة الأعداء) على أعلي مستوي ...

جاء الرب في ملء الزمان ، حينما اظلمت الدنيا كلها ، وصار الشيطان رئيساً لهذا العالم (يو١٤ : ٣٠) ، وانتشرت الوثنية ، وكثرت الأديان ، وتعددت الآلهة ... ولم يعد للرب سوي بقية قليلة ، قال عنها إشعياء النبي : " لولا أن رب الجنود أبقي لنا بقية صغيرة ، لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة " (إش١ : ٩) .

وجاء الرب ليخلص هذا العالم الضائع : يخلصه من الموت ومن الخطية .

وقف العالم أمام الله عاجزاً ، يقول له : " الشر الذي لست أريده ، إياه أفعل " " ليس ساكناً في شئ صالح " " أن أفعل الحسني لست أجد " (رو٧ : ١٧ ــ ١٩) . أنا محكوم على بالموت والهلاك . وليس غيرك مخلص (إش٤٣ : ١١) . هذا ما تقوله أفضل العناصر في العالم ، فكم وكم الأشرار الذين يشربون الخطية كالماء ، ولا يفكرون في خلاصهم !!

إن كان الذي يريد الخير لا يستطيعه ، فكم بالأولي الذي لا يريده ؟! إنه حقاً قد هلك ...

لم يقل الكتاب عن المسيح إنه جاء يطلب من هو معرض للهلاك ، وإنما من قد هلك ... لأن " اجرة الخطية هي موت " (رو٦ : ٢٣) . الخطية في اعنف صورها " قد دخلت إلى العالم ، وبالخطية الموت . وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع " ... وهكذا " ملك الموت من آدم " (رو٥ : ١٢ ــ ١٤) .

والرب في سمائه استمع إلى أنات القلوب وهي تقول :

قلب قد تغير : الله لم أعد أطلبه . والخير لم أعد أريده . والتوبة لا أبحث عنها ولا أفكر فيها ، ولا أريدها . لماذا ؟ لأن " النور جاء العالم . ولكن العالم أحب الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو٣ : ١٩) . ومادام قد أحب الظلمة أكثر من النور ، إذن فسوف لا يطلب النور ولا يسعي إليه !

هذا العالم الذي يحب الظلمة ، جاء الرب ليخلصه من ظلمته .

" إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقلبه " (يو١ : ١١) . وعدم قبولهم له معناه أنهم هلكوا . والرب قد جاء يطلب ويخلص ما قد هلك . رفضهم له لا يعني أنه هو يرفضهم . بل على العكس يسعي إليهم ، لكي يخلصهم من هذا الرفض . لأنه يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقلبون " (١تي٢ : ٤) .

كذلك جاء يطلب الوثنيين الذين يعبدون آلهة أخري غيره .

هم لا يعرفهم ويعرف ضياعهم . وقد جاء لكي يطلبهم " النور أضاء في الظلمة . والظلمة لم تدركه " (يو١ : ٥) ولكنه لم يتركهم لعدو إدراكهم له . إنما جاء ليعطيهم علم معرفته . وقد قال للآب عن كل هؤلاء الذين جاء ليخلصهم : " عرفهم اسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به ، وأكون أنا فيهم " (يو١٧ : ٢٦) .

ما أكثر ما احتمل الرب لكي يخلص ما قد هلك .

لست أقصد فقط ما احتمله على الصليب . ولكني أقصد أيضاً ما أحتمله أثناء كرازته من الذين رفضوه ، حتى من خاصته ! التي لم تقبله ... حقاً ما أعجب هذا : أن يأتي شخص ليخلصك ، فترفضه وترفض خلاصه . ومع ذلك يصر على أن يخلصك !

حتى الذين أغلقوا أبوابهم في وجهه ، صبر عليهم حتى خلصهم .

كان في محبته وفي طول أناته ، لا ييأس من أحد ...

جاء يعطي الرجاء لكل أحد ، ويفتح باب الخلاص أمام الكل ... يعطي الرجاء حتى للأيدي المسترخية وللركب المخلعة (عب١٢ : ١٢) .

" قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفئ (مت١٢ : ٢٠) .

إنه جاء ليخلص ، يخلص الكل . وكل هؤلاء مرضي وضعفاء وخطاة ومحتاجون إليه . وهو قد قال : ط

لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضي ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة " (مر٢ : ١٧) . من أجل هذا ، لم يجد المسيح غضاضة أن يحضر ولائم الخطاة والعشارين ويجالسهم ويأكل معهم ويجتذبهم إليه بالحب . وقول للمرأة التي ضبطت في ذات الفعل : ط وأنا ايضاً لا أدينك " (يو٨ : ١١) لأنه ما جاء ليدينها بل ليخلصها .

وهكذا قيل عنه إنه " محب للعشارين والخطاة " (مت١١ : ١٩) .

بل إنه جعل أحد هؤلاء العشارين رسولاً من الأثني عشر (متى) . واجتذب زكا رئيس العشارين للتوبة وزارة ليخلصه هو وأهل بيته وقال : " اليوم حدث خلاص لأهل هذا البيت إذ

هو ايضاً إبن لإبراهيم " (لو١٩ : ٩) . فتذمروا عليه قائلين : " إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ " ولكنه كان يطلب ويخلص ما قد هلك .

إنه لم يحتقر الخطاة مطلقاً ، فالاحتقار لا يخلصهم !

إنما يخلصهم الحب والاهتمام ، والرعاية والافتقاد ، والعلاج المناسب .
العالم كله كان في أيام المسيح " قصبه مرضوضة وفتيلة مدخنة . فهل لو العالم فسد وهلك ، يتخلي عنه الرب ؟! كلا ، بل يخلصه . هل لو فقد العالم صوابه ، يحتقره الرب ؟! كلا ، بل يعيده إلى صوابه .

حتى الذين قالوا أصلبه اصلبه ، قدم لهم الخلاص أيضاً .

وقال للآب وهو على الصليب : " يا أبتاه أغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون " (لو٢٣ : ٣٤) . ولماذا قال : " أغفر لهم " ؟ لأنه جاء يطلب ويخلص ما قد هلك . ولهذا فتح الفردوس أمام اللص المصلوب معه ...

لم يكن ينظر إلى خطايا الناس ،إنما إلى محبته هو .

لم ينظر إلى تعدياتنا ، إنما إلى مغفرته التي لا تحد . أما تعدياتنا فقد جاء لكي يمحوها بدمه . وحينما كان ينظر إليها ، كان يري فيها ضعفنا . لذلك قال له المرتل : " إن كنت للآثام راصداً يارب ، يارب من يثبت ؟! لأن من عندك المغفرة " (مز١٣٠) .

إنه درس لنا ، لكي لا نيأس ، بل نطلب ما قد هلك .

هناك حالات معقدة في الخدمة نقول عنها : " لا فائدة فيها " ، فنتركها ونهملها كأن لا حل لها ، بل نقول إنها من نوع الشجرة التي لا تصنع ثمراً ، فتقطع وتلقي في النار (يو٣ : ١٠) .
أما السيد المسيح فلم ييأس مطلقاً ، حتى من إقامة الميت الذي قال عنه احباؤه إنه قد أنتن لأنه له أربعة ايام (يو١١) .

وهذا درس لنا أيضاً لكي نغفر لمن اساء إلينا .

لأن الرب في تخليصه ما قد هلك ، إنما يغفر لمن أساء إليه . فالذي هلك هو خاطئ أساء إلى الله . والرب جاء يطلب خلاصه ... ! كم ملايين والآف ملايين عاملهم الرب هكذا ، بكل صبر وكل طول أناة ، حتى تابوا وخلصوا . وبلطفه اقتادهم إلى التوبة (رو٢ : ٤) .

كثيرون سعى الرب إليهم دون أن يفكروا في خلاصهم .

وضرب مثالاً لذلك : الخروف الضال ، والدرهم المفقود (لو١٥) .
ومثال ذلك أيضاً الذين يقف الله على بابهم ويقرع ، لكي يفتحوا له (رؤ٣ : ٢٠) . وكذلك الأمم الذين ما كلنا يسعون إلى الخلاص ، ولكن السيد المسيح جاء لكي يخلصهم ، ويفتح لهم ابواب الإيمان . ويقول لعبده بولس : " أذهب فإني سأرسلك بعيداً إلى الأمم " (أع٢٢ : ٢١) .
لماذا ذكر القديس بولس هذه العبارة التي قالها له الرب صرخ اليهود عليه قائلين إنه : " لا يجوز أن يعيش " (اع٢٢ : ٢٢) . ولكن هداية الأمم كانت قصد المسيح الذي جاء يطلب ويخلص ما قد هلك .

جاء الرب بغير النفوس الخاطئة إلى أفضل .

غير المؤمنين جاء يمنحهم الإيمان . والخاطئون جاء يمنحهم التوبة . والذين لا يريدون الخير جاء يمنحهم الإرادة . والذين رفضوه جاء يصالحهم ويصلحهم .
وهكذا كان يجول يصنع خيراً (اع١٠ : ٣٨) .

حتى المتسلط عليهم إبليس (أع١٠ : ٣٨) جاء ليعتقهم ويشفيهم .

لذلك نحن نناديه في أوشية المرضي ونقول له : " رجاء من ليس له رجاء ، ومعين من ليس له معين . عزاء صغيري النفوس ، وميناء الذين في العاصف " . كل هؤلاء لهم رجاء في المسيح الذي جاء يطلب ويخلص ما قد هلك .. إنه عزاء الهالكين واملهم

لذلك دعي اسمه " يسوع " أي مخلص ، لأنه جاء يخلص .

ولذلك فإن ملاك الرب المبشر ليوسف النجار ، قال له عن العذراء القديسة : " ستلد أبناً . وتدعو أسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم " (مت١ : ٢١) .

مجرد اسمه يحمل معني رسالته التي جاء من أجلها ، أنه جاء يخلص ما قد هلك ...

جاء يبشر المساكين ، يعصب منكسري القلوب . ينادي للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق " (إش٦١ : ١) .

ما إحلالها بشري جاء المسيح بها . لم يقدم للناس إلهاً جباراً يخافونه ... بل قدم لهم اباً حنوناً يفتح لهم أحضانه ، يلبسهم حلة جديدة . ويضع خاتماً في أصابعهم ، ويذبح لهم العجل المسمن (لو١٥) . إلهاً يخلصهم من خطاياهم ، ويمسح كل دمعة من عيونهم .

وهكذا ارتبط الخلاص باسم المسيح وبعمله وفدائه .

فإن كنت محتاجاً للخلاص ، فاطلبه منه : يخلصك من عاداتك الخاطئة ، ومن طبعك الموروث ، ومن خطاياك المحبوبة ، ومن كل نقائصك . ينضج . ينضح عليك بزوفاه فتخلص ، ويغسلك فتبيض أكثر من الثلج ...

هذه هي صورة المسيح المحببة إلى النفس ، الدافعة إلى الرجاء .

فإن أردت أن تكون لك صورة المسيح ، افعل مثله .

اطلب خلاص كل أحد . افتقد سلامه اخوتك .

وأولاً عليك أن تحب الناس كما أحبهم المسيح ، وتبذل نفسك عنهم ــ في حدود إمكانياتك ــ كما بذل المسيح . وتكون مستعداً أن تضحي بنفسك من أجلهم . بهذا تدخل فاعلية الميلاد في حياتك

ثم أنظر ماذا كانت وسائل المسيح لأجل خلاص الناس .

استخدم طريقة التعليم ، فكان يعظ ويكرز ، ويشرح للناس الطريق السليم ، حتى يسلكون بالروح وليس بالحرف .

واستخدم أيضاً أسلوب القدوة الصالحة . وبهذا ترك لنا مثالاً ، حتى كما سلك ذاك ، ينبغي أن نسلك نحن أيضاً (١يو٢ : ٦) .

واستخدم المسيح الحب ، وطول الأناة ، والصبر الأناة ، والصبر على النفوس حتى تنضج . كما استخدم الاتضاع والهدوء والوداعة .

وأخيراً بذل ذاته ، مات عن غيره ، حاملاً خطايا الكل ...

فافعل ما تستطيعه من كل هذا . واشترك مع المسيح ، على الأقل في أن تطلب ما قد هلك ، وتقدمه للمسيح يخلصه .

وعلى الأقل قدم صلاة عن غيرك ليدخل الرب في حياته ويخلصه . والصلاة بلا شك هي عمل في امكانك .

ولا تكن عنيفاً ولا قاسياً في معاملة الخطاة ، بل تذكر قول الرسول : " أيها الأخوة إن انسيق إنسان ، فأخذ في زلة ، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة (غل٦ : ١).

كم استخدم الرب روح الوداعة في طلب الناس وتخليصهم ...